الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية و الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ.

دور الأكراد في خدمة الحضارة الإسلامية

(صلاح الدين الأيوبي وابن تيمية- نموذجين-)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المشرق الإسلامي.

إعداد الطالب :

ـ الحسن علالي

إشراف الأستاذ :

د/_خالد شارف

الموسم الجامعي

2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

" قل ربي أدخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق و اجعلني من لدنك سلطانا نصيرا "

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان و التي برت علي كل شيء أعز ملاك على قلبي و عيني أمي الغالية إلى الذي علمني أن الحياة كفاح و أن لكل تعب نجاح و أن الإرادة سيادة إلى العزيز على قلبي أبي الى روح جدي الغالي الذي طالما كان فخرا وقدوة لي الحاج عثمان علالي الى روح جدتي الغالية التي طالما غمرتني بحنانها زهرة بن بهاز إلى مصدر سعادتي في هذه الحياة إخوتي الأعزاء دون أن أنسى المصباح الذي ينير بيتنا بطيبتها و عطفها و سعة صدرها جدتي حفظها الله من كل مكروه و أطال الله في عمرها إلى كل من قاسموا معي أفراحي و أحزاني و كانوا لي مثل الأخوة رفقائي الأعزاء وأخيرا وليس آخرا إلى كل طالب يسعى إلى تحقيق الأفضل لوطننا العزيز و إلى كل من وسعهم قلبي و لم يسعهم قلمي .

الحسن

تشكرات

الحمد لله أن منا علي بهذا العمل، أسأله الإخلاص والعون والسداد، خصني بالعقل للتفكر والتعقل والتدبر في الأمور، وبالذكر لاطمئنان القلوب .وأصلي وأسلم على أشرف خلق الله وأطهرهم وأكملهم محمدا صلى الله عليه وسلم.

بكل معاني الاعتراف بالفضل الجميل، وأجمل عبارات الشكر والتقدير إلى كل من ساهم بالرأي والمشورة أو قام بجهد مهما كان حجمه، وإلى كل من تعلمت على يديه شيئا، أو استلهمت منه فكرا أو أسدى إلينا نصحا.

اتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي ومشرفي الفاضل، **خالد شارف** ، حيث كان لتوجيهه الفاضل وعطائه اللا محدود الأثر البالغ في ثراء الدراسة، وخروجها في صورتها النهائية، إن كلمات الشكر لا توفيه حقه بما قدم وأرشد ودل، وبما سخر من وقته في مسار الدراسة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة المختصين الذين قدموا لي يد العون في الإطار المنهجي والمادة العلمية .وفقكم الله وجعلكم من الناجحين المتميزين.

و في الأخير اتوجه بأسمى آيات الشكر والتقدير والثناء إلى كل من ساهم في البحث من قريب أو بعيد .

فنقول كما قال الشاعر :ولو أنني أوتيت كل بلاغة وأفنيت بحر النطق في النظم والنثر

لما كنت بعد القول إلا مقصرا ومعترفا بالعجز عن واجب الشكر

أمد الله في أعماركم وجعلكم ممن يقال لهم ((**ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون**)).

صدق الله العظيم.

الفهرس

الإهداء.....	–
التشكرات.....	–
مقدمـــة.....	أ–ج
المدخل التمهيدي: التعريف بالكرد.	
1/_أصل التسمية:	07
2/_ نسب الأكراد:	08
3/_دخولهم الإسلام:	09
الفصل الأول: صلاح الدين الايوبي	
1/_ سيرته الذاتية:	13
1–1/_ نسبه:	13
1–2/_ مولده:	14
1–3/_نشأة صلاح الدين:	15
1–4/_ توليه الوزارة واهم الصعوبات التي واجهته:.....	18
2/_ انجازاته الحضارية والعسكرية:	19
2–1/_ جهوده في توحيد مصر والشام:	19
2–2/_محاربة المذهب الشيعي ونشر المذهب السني:.....	23
2–3/_ردع الصليبيين واسترداد بيت المقدس :.....	26
الفصل الثاني: ابن تيمية	
1/_ سيرته الذاتية:	32
1–1/_نشأته:	32
1–2/_ قوة حافظته:	34
1–3/_نشاطه العلمي:	34

1-4/_وفاته وثناء الأئمة عليه:	36
2/_ دوره المعرفي والحضاري:	39
2-1/_ اسهامه في المعرفة:	39
2-2/_رده على الشبهات:	42
3/_ دوره السياسي والعسكري:	45
3-1/_السياسي:	45
3-2/_العسكري:	46
الخاتمـة.....	54
قائمة المصادر والمراجع	57
الفـهرس	62

قائمة المختصرات :

الرقم	الكلمة	اختصارها
01	دون طبعة	د ط
02	دون سنة نشر	د ت ن
03	دون دار نشر	د د ن
04	صفحة	ص
05	من صفحة الي صفحة	ص ص
06	ميلادي	م
07	هجري	هـ
08	تعريب وتعليق	تع
09	تصحيح	صح
10	ترجمة	تر
11	الجزء	ج
12	تحقيق	تح
13	دون بلد نشر	د ب ن
14	تقديم	تق

مقدمـــة

إن الدارس لتاريخ الاسلامي وتركيبته وتوليفه يعرف انه أمام مجموعة من الأعراق التي هذبها الدين الاسلامي واستطاع أن يوحد ما تجاوز رابطة الدم و الانتماءات المتعارف عليها ان تجمعها مكونة مجتمعا واحدا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف :"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضوا تدعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" حيث عمل على هذا بعد هجرته للمدينة أو يثرب كما سميت قديما فأخا بين المهاجرين والأنصار وبين الأعجمي والعربي بين كباراها وصغارها وتجاوزا هذا الأمر الى الإيثار بمالهم و مكتسباتهم وتقاسمها فيما بينهم.

وأيضا قال الرسول صلى الله عليه وسلم "لافرق بين أعجمي ولا عربي الا بالتقوى" وهذا التآخي عبر عن اللحمة التي كانت هي نسيج المجتمع ، وعبر مرور الوقت أثبتت هاته الأعراق نتاج هذا التلاحم وكتبت البعض منها تاريخا مشرفا أعزو به الإسلام من بينها موضوع دراستي العنصر الكردي، حيث أن البعض حاليا لدى ذكرنا لأي شخصية عظيمة في الإسلام فأول ما يتبادر الى أذهانهم أنه عربي متجاهلين العناصر الأخرى مما ادى بها الى إحياء ما كان قد دفنه الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل العصبية القبلية التي قال عنها صلى الله عليه وسلم "دعوها فهي نتنة".

ومن هذا المنطلق اخترت أن يكون موضوع دراستي تحت عنوان "**دور العنصر الكردي في الحضارة الاسلامية معتمدا على أنموذجين صلاح الدين الأيوبي وابن تيمية**".

أهمية الدراسة :

- ابراز تاريخ بعض الشخصيات المهمة في التاريخ الاسلامي وما قدمته له.

دواعي اختياري الموضوع:

ومن دواعي اختياري لهذا الموضوع

-الدوافع الذاتية:

كرد على طرح قدمه أحد الأساتذة الذي كان مضمونه انه يجب ان نتعصب لعلمائنا العرب متغاضيا عن العلماء الغير عرب استفزني هذا الطرح (عرب) وكأنه لايوجد شيء اسمه إسلام احتوى هاته العصبية رغم انه باحث في التاريخ الاسلامي.

-الدوافع الموضوعية:

في بداية الأمر لم يكن هذا موضوع بحثي وإنما كان دور العناصر الأعجمية المسلمة في التاريخ الاسلامي وبعد عملية التدقيق والتحقيق مع الأستاذ المشرف تم تحويله إلى دور العنصر الكردي في الحضارة الإسلامية من خلال أنه منهجيا غير صحيح من حيث:

-ضبط وتحديد التاريخ

-أيضا من خلال ماقاله من إستحالة حصر جميع هاته العناصر من دون إسقاط أي عنصر

الهدف من الدراسة:

- وكان **الهدف** من هذه الدراسة التاريخية هي إبراز تاريخ بعض من الشخصيات الكردية التي كان لها الدور الفعال في تاريخ الاسلامي وما قدمته له.
- تبيان النموذج الحضاري و الإنساني في شخصية كل من صلاح الدين الأيوبي و إبن تيمية

الإطار الزماني والمكاني :

أما فيما يخص الإطار الزماني فقد كانت بداية الدراسة بالكرد في الفترة الممتدة من (637م-650م /16هـ- 29هـ) أما فيما يخص الأنموذجين فدرست كل واحد منهم على حدة ففي النموذج الأول صلاح الدين الأيوبي كان تاريخ دراسته ممتد في الفترة (532هـ-589هـ /1138م -1193م)أما ابن تيمية فكان تاريخ الدراسة مصور في الفترة (728هـ-661هـ/1327م-1263م).

أما فيما يخص الإطار المكاني فشملت الدراسة المناطق الأتية : كردستان والتي كان يطلق عليها قديما الجزيرة والعراق والشام ومصر.

إشكالية الدراسة:

وعلى أساس هذا الطرح يتبادر إلى ذهني التساؤل التالي:

- **الإشكالية العامة:**

ماهو دور العنصر الكردي في تاريخ الحضارة الإسلامية ؟

- **الإشكالية الفرعية:**

ومن خلال هذا الإشكالية تفرعت لدينا عدة تساؤلات أهمها:

- من هم الأكراد ؟
- وما هو دورهم في الحضارة الإسلامية ؟
- وما هي أهم الخدمات التي قدمها صلاح الدين الأيوبي وابن تيمية في خدمة الحضارة الإسلامية ؟

المهج الدراسة: لقد فرض علي طبيعة الموضوع الإستعانة بالمناهج التالية:

المنهج الوصفي: فقد اتبعت المنهج التاريخي الوصفي من خلال وصف الأحداث والحقائق الماضية وكذا وصف الشخصيتين المتطرق لهما، ويعمل على وصف مختلف التغيرات والتطورات.

المنهج التحليلي: اعتمدت على المنهج التحليلي أحيانا من خلال جمع المعلومات والحقائق التاريخية

خطة الدراسة :

من خلال التساؤلات السابقة ارتأيت أن دراسة هذا الموضوع المتعلق بدور الكرد في الحضارة الإسلامية والذي قسمته إلى ثلاث فصول وهي كالآتي:

الفصل التمهيدي بعنوان التعريف بالكرد والذي تكلمت فيه عن أصول الأكراد وتسميتهم ونسبهم وكيفية دخولهم للإسلام.

الفصل الأول بعنوان صلاح الدين الأيوبي وتناولت مولده ونشأته ودوره في محاربة الصليبين وجهوده في توحيد مصر والشام ومحاربته للمذهب الشيعي وإرساء المذهب السني واسترجاع بيت المقدس.

الفصل الثاني: الموسوم بعنوان ابن تيمية حيث تضمن مولده ونشأته ثم انتقلت إلى دوره العلمي والحضاري وتكلمت فيه عن إسهامه في المعرفة ورده على الشبه ومحاربته للمتصوفة ورده عن المنطق ثم انتقلت الى دوره السياسي والعسكري حيث فصلت في هته النقطة عن أسباب دعمه للمماليك و جهاده سواء بالقلم أو السلاح.

وأنهيت هاته الدراسة بخاتمة جاءت كحوصلة ورد على التساؤلات التي طرحتها آنفا.

المصادر والمراجع:

واعتمدت في ضبط هذه المذكرة على المصادر والمراجع الآتية:

الفصل التمهيدي:

أبي الحسن ابن على المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ،ط1،مكتبة العصرية ،صيدا ،بيروت 2005.

أحمد تاج الدين ،**الأكراد تاريخ الشعب وقضية الوطن**،ط1،دار الثقافية للنشر، مصر،2001.

الفصل الأول :

شهاب الدين المعروف بأبي شامة ،**كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية** ،ط1،ج3،دار الكتب العلمية، بيروت،2002.

علي محمد الصلابي ،**صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس**،ط1،دار المعرفة ، بيروت لبنان،2008.

الفصل الثاني :

حافظ ابن كثير، **البداية والنهاية**،ج14،ط7،مكتبة المعارف ،بيروت،1988.

محمد أبو زهرة ،**ابن تيمية حياته وعصره – أرائه وفقهه**،ط1،دا الفكر العربي القاهرة ،مصر ،1991.

صعوبات الدراسة:

- ضعفي في الجانب المنهجي صعب علي الدراسة كما أثر علي الجانب المادي نوعا ما في تأخير البدء بالعمل.
- حدوث بعض المشاكل في الإدارة مما أدت الى عدم تركيزي التام في الرسالة .

- حدوث عدة عوائق تكاد تكون خيالية حرمتني من الإبداع في الفصل الأول (صلاح الدين الأيوبي)، مما جعل دراسته ركيكة نظرا لأن اوراقه أتلفت قبل يوم من الموعد المحدد كآخر أجل لتقديم المذكرة.
- الأحداث الأخيرة التي أصابت البلد شتت الانتباه و التركيز.

وفي الختام أحمد وأشكر الله على إتمام هذا العمل فإن أصبت من عند الله وإن أخطأت هذا من نفسي، وأقدم كل الشكر إلى من ساهم من بعيد أو قريب في إنجاز هذا البحث.

المدخل التمهيدي: التعريف بالكرد.

1/_أصل التسمية:

2/_ نسب الأكراد:

3/_دخولهم الإسلام:

I/_ التعريف بالأكراد:

1/_ أصول الاكراد وتسميتهم:

من الثابت تاريخيا أن المناطق الجبلية المتاخمة لسوريا كانت تسكنها أمة تسمى الجوتو Gutu أو ardou ومعناها بالآشورية المحارب .. وكان الجونو على جانب عظيم من الرقي والمدنية واستطاعوا نشر حضارتهم بين الأمم المجاورة والمعاصرة لهم مثل العيلاميين والحيثيين والبابليين مستخدمين في ذلك الكتابة المسمارية.

وقد أثبتت الدراسات والبحوث الأنثربولوجية والاثنولوجية بالأدلة القطعية وبما لا يدع مجالا للشك أن الكرد من أصل أرى وأنهم قدموا إلى مناطق كردستان في عهد ما قبل التاريخ، ونظرا للتفوق الحضاري والمدني الذي كانوا عليه استطاعوا أن يذهبوا ويصهروا شعوب المنطقة الأصليين فاندمج معهم هؤلاء السكان الأصليون بفعل الزمان...وإذا كانت هذه النظرية قد لاقت استحسانا لدي كثير من المؤرخين إلا أنهم اختلفوا حول تحديد الحقبة الزمنية التي وفد فيها هؤلاء الآريون إلى هذه البلاد والمنطقة التي جاءوا منها، وإن كانت أقرب الاحتمالات التي يمكن الإرتكان إليها هي أنهم قدموا من جهة اسكندناوا في عصر ما قبل التاريخ غير أنه من الثابت تاريخيا – رغم الإختلاف بين المؤرخين – أن الكرد أمة من الأمم الآرية ومن الجنس الآري الخالص وليس المخلط كما أن سكناهم تلك البلاد كان منذ فجر التاريخ.

واستطاع الأكراد – بعد أن صهروا في بوتقتهم كل الشعوب السابقة على وجودهم بفعل ما لديهم من حضارة ومدنية – أن يحافظوا على استقلالهم طيلة فترة الإمبراطورية الآشورية ثم ما لبثوا أن انقلبوا على الآشوريين وعقدوا تحالفا مع الميديين بعد أن اضطروا للخضوع السلطان قيروش الذي استولى على نينوى عاصمة الآشوريين وقوض دولتهم، وقد أمده الأكراد بجيش كردى خالص ساعده على فتح مدينة بابل).[1]

وقد أكد هذه الحقيقة هيردون اليوناني أبو التاريخ الذي ذكر الجيش الكردي من بين العناصر المكونة لجيوش اكسيرس.

وإذا عدنا إلى أصل تسمية الجوتو فنقول أن هؤلاء الجونو هم أصل أكراد الشمال والجنوب على حد سواء، فعلماء الحضارات أثبتوا أن المدنية التي قامت في منطقة كرمنشاه

1 – احمد تاج الدين، **الأكراد تاريخ شعب وقضية وطن**، ط1، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2001، ص 15.

وهمذان هي من نوع نفس المدنية التي خلفها الجوتو في الشمال في كاردو كيا وميديه وفي آشورية لأن قبيلة الكلهر الحالية تعتقد – وتؤيدها الآثار التي تم العثور عليها في تلك المناطق – أنها من نسل (جودرز) وهذه الكلمة معناها زعيم الجوتو كما أن الجوران يؤكدون أنهم من ذرية جودرو بن كيو الذي كان له ابن يسمى (رحام) أرسله بهمن الكياني، لتخريب مدينة بيت المقدس وأسر ما بها من اليهود.. ورحام هذا هو المعروف لدى المؤرخين العرب بنبوخذ نصر الذي تولى العرش فيما بعد وسمي خلفاؤه من سلالته من الملوك بالجوران وقد وجدت له نقوش على أحجار قصر شيرين .

الأمة الكردية تتفرع من شعوب أربعة هي: كرمانج وكوران ولور و كلهر، وهم من أقدم الشعوب الآرية التي أقامت مدنية وأنشأت حضارة زاهرة أرست قواعدها في هضبة إيران والبلاد المحيطة بها وقد استطاعت أن تفرض سطوتها وتبسط نفوذها على القبائل الآرية الأخرى وفرضت لغتها الكردية لغة عامة تستخدمها جميع القبائل والأمم في تلك الإمبراطورية الممتدة من منابع دجلة والفرات حتى خليج العرب وعاصمتها «اكباتان» بالقرب من كرمانشاه، وقد أطلق على اللغة الكردية لغة البهلوان أي لغة الأبطال أو المحاربين كما قلنا، وتؤكد المراجع الفارسية التي تحت أيدينا أن كلمة كرد معناها في الفارسية البطل أو المحارب أو الشجاع، وقد أكد الفردوسى في كتابه الشاهنامه أن جميع القبائل الكردية في مختلف أنحاء كردستان يعرفون أن لفظ كرد وجمعها أكراد لم تطلق على هذا الشعب إلا لما عرف عنهم من الشجاعة النادرة والبطولة الفائقة التي امتازوا بها منذ فجر التاريخ . .

ومما يؤكد أن الكرد قوم آريون أن دينهم الرسمي قبل اعتناقهم الإسلام كان (الزرادشتية) | التي لم تنتشر إلا بين الأجناس الآرية.

ورغم كل هذه العصور الزمنية فلا يزال هناك من يدينون بالزرادشتية في مناطق كردستان، وإن كان عددهم لا يتجاوز بضع مئات.

ومن المعلوم تاريخيا أن الدين الإسلامي قد انتشر في كردستان على يد خالد بن الوليد وعياض بن غنم[1] .

2/_ نسب الأكراد:

أما جنس الأكراد فقد تنازع الناس في بدئهم ، فمنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار بن معد ابن عدن ، إنفردو في قديم الزمان ، وإنضافوا إلى الجبال والأودية ، دعتهم إلى ذلك الأنفة ، وجاوروا من

1 – احمد تاج الدين، المرجع السابق، ص 16 .

هنالك من الأمم الساكنة المدن والعمائر من الأعاجم والفرس فحالوا على لسانهم وصارت لغتهم أعجمية ، ولكل نوع من الأكراد لغة لهم بالكردية ، ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار ، وأنهم من ولد كرد بن مرد ابن صعصعة بن هوزان وأنهم إنفردوا في قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ، ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومضر ، وقد إعتصموا في الجبال طلبا للمياه والمراعي فحالو عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم.[1]

في حين يرى الأستاذ مار أن الأكراد شعب أصيل وهم السكان الأصليون لجبال آسيا الصغرى ويؤكد مار رأيه قائلا بأن هنالك صلة قرابة بين الأكراد والشعب الكردوخي ، ويفسر كون اللغة الكردية الحالية من أصل إيراني وبأن الأكراد قد استعاضوا عن لغتهم الأصلية بلغة جديدة ويستشهد على ذلك بأسطورة يتناقلها الأكراد حيث يقولون :(إنهم تركوا لغتهم القديمة وإعتنقوا لغة جديد).[2]

ورجح زينفون هذا القول أيضا ،فعندما نبحث عن أصل الكرد يجب أن نأخذ التحفظات المذكورة آنفا بنظر الاعتبار لقد نقل لنا التاريخ عددا من الأسماء تشبه في لفظها إلى حد ما الاسم الحالي لهذا الشعب وهذا ما يسمح للاختصاصيين ببناء فرضياتهم أو نقضها .

وهكذا قيل أن الكاردوخيون الذين تكلم عنهم زينفون في روايته عن الإنسحاب المشهور بين 400-401ق.م ،لعشرة الاف يوناني عبر كردستان الحالية الى البحر الأسود لم يكونوا غيرالأسلاف الحقيقين للكرد، انهم كانوا جبليين أشداد مثلهم ، يقطنون البلاد نفسها ولهم اسم شبيه بإسمهم.[3]

أما بالنسبة للأراء الفارسية (أسطورة أزدهاك وأسطورة الجن):

أسطورة تداولتها الألسن عبر التاريخ أنه كان هناك شعب مظلوم على يد أحد الطغات وكان يأمر بإستحضار مخ شابين كل يوم ليعالج بها مرض مزمن أصابه لكن الشخص المسؤول عن هذا الأمر ،كان يقتل شخصا ويهرب الأخر إلى الجبال فإجتمع عدد عظيم من أولائك الشباب في الجبال وكونوأ شعبا متنوع الأجناس أطلق عليه إسم الكرد.[4]

1- الحسن بن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ، ج2، ط1، المكتبة العصرية، بيروت 2005، ص96.

2- محمد رشيد الفيل، **الأكراد في نظر العلم**، مطبعة الأداب، نجف 1965، ص14.

3- باسيلين يكيتين، تق:لويسماسينيون، **الكرد دراسة سوسيولوجية وتأريخية**، تر: نوري طالباني، دار فاراس للطباعة والنشر، 2006، ص33.

4- عصام أنور محمد أمين زنكنة، **الكورد أمة جبال**، مر: رفيق شواني، أربيل، 2013، ص68-69.

3/_دخولهم الإسلام:

تأثر الأكراد في بداية حياتهم السياسية قبل الإسلام بالمعتقدات الدينية التي سادت بلاد ما بين النهرين وبخاصة السومرية والأكادية والبابلية وإعتنقوا الزرادشتية وهي دين الفرس القديم بحكم مجاورتهم لهؤلاء ، وبدأ الكثير من الأكراد بالتحول إلى الإسلام عقب الفتوح الإسلامية لمناطقهم في القرن 7م ، واستمروا في القرون الثلاثة التالية بفعل إحتكاكهم بالمسلمين في العراق وايران لكنهم اعتنقوا في غالبيتهم العظمى الدين الإسلامي على المذهب الشافعي خلاف للأتراك الأحناف والفرس الشيعة ،والواظح أن الإسلام لم ينتشر بين الأكراد عن طريق الفتح المباشر ولا عن طريق الحكم المباشر وإنما إنتشر ببطء عبر نشر الدعوة بين الأكراد على مدى ثلاثة قرون ، ثم إن حملات الفتوح لم تدخل المناطق الكردية لتستقر فيها وتقيم ولايات اسلامية تابعة لدولة الخلافة لأنها لم تكن ضرورية للمسلمين عسكريا واقتصاديا وأمنيا وانما اتخذوها منطقة عبور الى أرمنيا ،وعدت هذه المناطق من ديار الإسلام روحيا فقط ، فلم يحكمها المسلمون حكما مباشرا ، وظل الأكراد يحكمون أنفسهم بأنفسهم ردحا طويلا من الزمن في العهود الإسلامية ، ويعد الدين الإسلامي الجذر التاريخي الحقيقي لمعظم الأكراد ، فهو الذي أظهرهم على المسرح السياسي ووحد قبائلهم ، وأثرى في داخلهم المعاني والقيم والمثل العليا ، والواقع أنهم لم يعرفوا في التاريخ كشعب ذوي خصائص محددة الا بعد إعتناقهم الإسلام.[1]

إتصل العرب المسلمون بالكرد لأول مرة بعدما فتحو حلوان وتكريت ، التي كان الملك الفارسي يزدجر معسكرا فيها سنة 16هـ/637م ،وقام بفتح بلاد الأكراد عدد من الصحابة كسعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وعياض ابن غنيم و أبو موسى الأشعري ،[2]

وبعد فتح تكريت أ رسل سعد بن أبي وقاص بأمر من عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سنة 18 هـ ثلاثة جيوش لفتح الجزيرة.[3]

1- محمد سهيل طقوش، **تاريخ الأكراد (637-2015م)**، ط1، دار النفائس، 2015، ص39.

2- محمد الصويركي، **تاريخ الأكراد في بلاد الشام ومصر**، ط1، مطبعة السفير، عمان، 2010، ص28.

3- محمد الصويركي، المرجع السابق، ص28.

وينبغي أن نعلم أنه كان هناك اتصالات أخرى قبل هذا التاريخ إذ كان بعض من الأكراد قد إعتنق الإسلام من قبل لأن المرحوم أفندي الألوسي يذكر في تفسيره الشهير (روح المعاني) من ضمن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، اسم صحابي يدعى جابان الكردي وله ابن يدعى ميمون ويكنى بأبي بصير ، ثم ينسب هذه ،المعلومات الى الحافظ ابن حجر في كتابه القيم (الإصابة في تميز الصحابة) الذي يشتمل على عدة أحاديث مروية عن جابان الكردي في الأنكحة والشؤون الأخرى ، ولايبعد أن هناك عدة من الصحابة الكرام يرجعون في نسبهم الى الكرد ويذكر لنا التاريخ الإسلامي أن الفاتح الشهير سعد بن ابي الوقاص أرسل جيشا بقيادة هاشم ابن عتبة على جالولاء بعد فتح المداين في صفر سنة 16هـ لأن بقية الجيش الفارسي كان معسكرا بها كما أن يزدجر شاه إيران كان بحلوان حينئذ وقد إنتصر هذا الجيش الإسلامي بعد معارك دامية على الفرس وشتت شملهم وطاردهم القائد الإسلامي القعقاع ابن عمر حتى قلعة حلوان فدخلها ظافرا وهكذا حصل إتصال الشعب الكردي والوطن الكردي بالجيوش الإسلامية بعد افتتاح هذه القلعة الخطيرة التي كانت حدا فاصلا بين سواد العراق وولاية الجبال .[1]

1- محمد أمين زكي بك، **خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن**، تق: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، 1939، ص131.

الفصل الأول: صلاح الدين الايوبي

1/_ سيرته الذاتية:

1-1/_ نسبه.

1-2/_ مولده.

1-3/_نشأة صلاح الدين.

1-4/_ توليه الوزارة واهم الصعوبات التي واجهته.

2/_ انجازاته الحضارية والعسكرية:

2-1/_ جهوده في توحيد مصر والشام.

2-2/_محاربة المذهب الشيعي ونشر المذهب السني.

2 -3/_ردع الصليبيين واسترداد بيت المقدس

II /_صلاح الدين الايوبي:

1/_ سيرته الذاتية:

1-1/_ نسبه:

ينتمي صلاح الدين إلى عائلة كردية، كريمة الأصل، عظيمة الشرف، وتنتسب هذه العائلة إلى قبيلة كردية تعد من أشراف الأكراد نسباً وعشيرة، وهذه العشيرة تعرف بالرّوادية وهي تنحدر من بلدة دوين الواقعة عند آخر حدود أذربيجان بالقرب من مدينة تفليس في أرمينية وينتسب الأيوبيون إلى أيوب بن شادي، ويعتبرهم ابن الأثير أشرف الأكراد لأنهم لم يجر على أحد منهم رق أبدا كما أن والد صلاح الدين، نجم الدين أيوب، وعمه أسد الدين شيركوه، عندما قدما إلى العراق بلاد الشام لم يكونا من الرعاة وإنما كانا على درجة عالية من الخبرة في الشؤون السياسية والإدارية، غير أن بعض الأيوبيين حاول أن ينكر أصلهم الكردي والالتصاق بالدم العربي عامة، وبنسل بني أمية خاصة ومهما كان أصل البيت الأيوبي، فإن ظهورهم على مسرح الأحداث في المشرق الإسلامي وضع منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي حين تولى شادي، جدهم الأكبر، بعض الوظائف الإدارية في قلعة تكريت، التي كانت إقطاعاً لبهروز الخادم أحد أمراء السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه وكانت تكريت، الواقعة على الضفة اليمنى لنهر دجلة شمالي سامراء، تتحكم في أغلب الطرق الرئيسية المارة بين العراق وبلاد الشام، وكان أغلب سكانها من الأكراد، وقد انتقل إليها شادي مع ابنيه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه، وتدرج في المناصب الإدارية فيها حتى ولي وظيفة الشحنة، ولما توفي خلفه ابنه نجم الدين أيوب.[1]

وقد قام نجم الدين بخدمة السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه " فرأى منه أمانة وعقلاً وسداداً وشهامة، فولاه قلعة تكريت، فقام في ولايتها أحسن قيام، وضبطها أكرم ضبط، وأجلى عن أرضها المفسدين وقطاع الطرق الطرق حتى عمرت أرضها وحسن حالها وكذلك يذكر أبو شامة بأن أسد الدين شيركوه كان من الأمراء المقدمين عند السلاجقة الذين اقطعوه إقطاعا كبيراً في تكريت وما

[1] أبو المحاسن بهاء الدين إبن شداد ،سيرة صلاح الدين الأيوبي المسمى النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر 2012،ص10.

حولها حتى إن إقطاعه كانت تقدر قيمته بحوالي تسعمائة دينار سنوياً، وهو مبلغ كبير بمقياس ذلك العصر[1].

1-2/_ مولده:

ولد صلاح الدين الأيوبي عام 532هـ/1137م في قلعة تكريت بلدة قديمة أقرب إلى بغداد منها إلى الموصل، وقد قامت في طرفها الأعلى قلعة حصينة راكبة على دجلة، بناها ملوك الفرس منذ القدم على حجر عظيم، وجعلوها مخازن للذخيرة، ومرصداً لمراقبة العدو، ثم افتتحها المسلمون في السنة السادسة عشرة من الهجرة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن عجائب القدر أن ولادة صلاح الدين كانت في اليوم الذي أمر فيه "مجاهد الدين بهروز" وإلى بغداد نجم الدين أيوب وأخاه شيركوه بمغادرة مدينة تكريت لقتل شيركوه عم صلاح الدين أحد قواد القلعة، وذلك من أجل امرأة آذاها القائد في شرفها، فانتقم "شيركوه" للشرف والمروءة حين استغاثت به فقتله فخرج الرجلان يقصدان (الموصل) وقد حملا أسرتيهما، وفي رحل نجم الدين يوسف ابنه الطفل المولود صلاح ويذكر صاحب وفيات الأعيان " أن أيوب قد تشاءم بمولوده الجديد صلاح الدين، وقد هّم أيوب بقتل ولده عندما كان يصيح وهو طفل وهم خارجون من المدينة، ولكن أحد أتباعه حذره من هذه العمل قائلاً: يا مولاي، قد رأيت ما حدث عندك من الطيرة والتشاؤم بهذا الصبي، وأي شيء له من الذنب؟ وبم استحق ذلك منك وهو لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئاً، وهذا الذي جرى عليك قضاء من الله سبحانه وقدر، ثم ما يدريك أهذا الطفل يكون ملكاً عظيم الصيت، جليل المقدار، ولعل الله جاعل له شأناً، فاستبقه فهو طفل. ليس له ذنب ولا يعرف ما أنت فيه من الكدر والغّم. ولقد أثرت هذه الكلمات في نفس أيوب وسرعان ما رجع إلى الحق، وثاب إلى الرشد، واتبع طريق الإسلام الصحيح.[2]

1- على محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس،ط1، دار المعرفة- بيروت، 2008م، ص15.

2- نفسه، ص 16

1-3/_نشأة صلاح الدين:

هاجر الأخوان نجم الدين أيوب وشيركوه من بغداد إلى الموصل، حيث نزلا عند (عماد الدين زنكي) الذي رحب بالأخوين ترحيباً عظيماً، وأجرى عليهما المنح والعطايا وما هذا الترحيب والإكرام إلا مكافأة على موقفهما المخلص من إنقاذهما له من القتل أو الأسر ذلك لأن عماد الدين زنكي صاحب الموصل قد حارب السلجوقية عند "تكريت" أيام كان "بهروز" والياً على بغداد من قبل السلجوقيين، وسبق أن ذكرنا أن نجم الدين أيوب، وشيركوه كانا قائمين على تكريت وقلعتهما من قبل بهروز، وكان من نتيجة حرب عماد الدين للسلجوقيين أن أنهزم جيشه أما جيش السلطان السلجوقي، وفي أثناء انسحابه ورجوعه إلى الموصل مّر بتكريت وأصبحت حياته هو وجيشه في يد نجم الدين أيوب والي تكريت يومئذ إن شاء أبقاهم أحياء، وإن شاء قتلهم، ففضل نجم الدين الإحسان على الإساءة فقام هو وأخوه شيركوه بمساعدة عماد الدين وسهلاً له أمر النجاة والسلامة حتى وصل إلى الموصل، فكان لهذه المعاملة الحسنة والموقف النبيل أكرم الأثر، وأحسن النتائج في بناء ملك أيوب، وإقامة مجد الإسلام على يد صلاح الدين ولما وصل الرجلان إلى الموصل لقيهما عماد الدين، كما ذكرنا بالترحاب وجازاهما على ما صنعا معه من الجميل له في تكريت، فأقطعهما أرضاً ليعيشا عنده معزَّزين مكرمين.[1]

وفي رحاب عماد الدين تطورت الأسرة الأيوبية، فقد أصبح نجم الدين وأخوه شيركوه من خيرة القادة، وقتل عماد الدين بعد ذلك وأصبح نور الدين صاحب اليد الطولي وكان ذلك بمساعدة الأيوبيين واستطاع أن يضم دمشق لملكه وفي دمشق ترعرع صلاح الدين وتلقى علومه الإسلامية ومارس فنون الفروسية والصيد والرمي بالسهام وغيرهما من ضرورات البطولة وعندما فتح نور الدين محمود زنكي بعلبك سنة 534هـ ولي عليها نجم الدين أيوب إلا أن صاحب دمشق مجير الدين، قام بحصار نجم الدين أيوب في بعلبك، وكاتب نجم الدين نور الدين محمود، وسيف الدين غازي، وطلب منهما النجدة، فاشتغلا عنه، وبعد حصار طويل تم الصلح بين الطرفين على حال، وانتقل إلى دمشق وصار من كبار أمرائها[2] وهكذا عاش صلاح الدين طفولته الأولى في بعلبك سنة

1- ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح: عبد القادر أحمد طليمات،ط1، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963، ص 18.

2- على محمد الصلابي، المصدر السابق، ص 18.

(534هـ/1140م) وكان يشاهد ويسمع بين حين وآخر، اعتداء الصليبيين على البلاد الإسلامية، ولما قام الصليبيون بالهجوم على سهل البقاع المجاور لبعلبك سنة 546هـ تصدى لهم نجم الدين وأسد الدين شيركوه وهزمهما وأخذ منهم أساري ' وفي السنة نفسها التحق صلاح الدين في خدمة عمه أسد الدين شيركوه وهزمهما وأخذ منهم أساري وكان أسد الدين مرافقاً لنور الدين الذي تولى قيادة الزنكيين بعد مقتل والده، ويبدو أن نور الدين كان قد أدرك قدرات صلاح الدين العسكرية والإدارية، فقد ذكر أبو شامة أن صلاح الدين تقدم بين يدي نور الدين فقبله وأقطعه إقطاعا حسناً، وعول عليه ونظر إليه، وقربه، وخصصه، ولم يزل يتقدم تقدما تبدو منه أسباب تقضي تقديمه إلى ما هو أعلى. وكان نور الدين يكلفه بالذهاب إلى عمه لاستشارته في قضايا، تخص الدولة والمكوس، والضمانات، فقد كان نور الدين يهتم بمشاورة كبار قواده. وتسمى هذه الوظيفة لصلاح الدين في العصر الحديث كاتم الأسرار ضابط الركن الشخصي لنور الدين. وأما عن كيفية تبؤ صلاح الدين الأيوبي أعماله الرسمية فقد فصل لنا ابن الفرات ذلك بقوله: ولم يزل صلاح الدين في كنف والده حتى ترعرع، فلما تملك الملك العادل نور الدين دمشق لازم الأمير نجم الدين أيوب ولده يوسف بخدمته، ومنه تعلم صلاح الدين طريق الخير، وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد حتى ظهر للسير مع عمه أسدالدين شيركوه إلى الديار المصرية، ولم يزل أسد الدين آمراً ناهياً بالديار المصرية، وابن أخيه صلاح الدين يباشر الأمور بنفسه بكل عناية وحسن رأي وسياسة فقد، وفي ولاية أبيه على بعلبك درس صلاح الدين العلوم الإسلامية، وفنون القتال، فضلاً عن فنون لعب الكرة والفروسية، وغيرها من فنون الطبقات الحاكمة إلى جانب براعته في لعبة الجوكان، وهي لعبة رياضية أصلها شرقي يمارسها اللاعبون وهم على ظهور الخيل التي ورثها عن أبيه، فضلاً عن اهتمامه بالعلوم الدينية، ونستنتج من ذلك واستناداً إلى ما تقدم أن المرحلة التي عاش فيها صلاح الدين في الشام، وقبل أن يتبوأ منصباً عسكرياً مهما، كان يراقب التطورات السياسية والعسكرية الموجودة على الساحة الإسلامية وأبرزها الصراع مع الصليبيين واعتماد نور الدين على والده وعمه شيركوه وكان لابد أن يتأثر بهذه الأحداث وإن لم يشارك فيها، ولابد أيضاً أن ينمو لديه شعور يحتم عليه أن يعد نفسه للمستقبل ولاسيما للمناصب المتقدمة في الدولة ' ويمكن القول أن صلاح الدين نشأ وتربى بين أحضان أسرته، وأخذ عن أبيه نجم الدين براعته في السياسة واكتسب من عمه شيركوه شجاعته في الحروب[1]، فنشأ متشبعاً

[1] شهاب الدين أبي شامة ،الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،ص7.

بالدهاء السياسي والروح الحربية، كما تعلم علوم عصره فحفظ القرآن ودرس الفقه والحديث، وتتلمذ على أيدي كبار العلماء وأساتذة منطقة الشام والجزيرة منهم الشيخ قطب الدين النيسابوري، وقد تأثر صلاح الدين بالسلطان نور الدين محمود الذي قّدم النموذج الرائع للإخلاص المتفاني والشعور الحادّ بالمسؤولية الدينية وتعلم منه الإخلاص والفداء وكيف يناجي ربه في صلوات خاصة في محاربه يأخذ منها زاده القوي على الجهاد، وورث عنه قيادة المشروع الإسلامي وتعلم منه كيفية التصدي للمد الشيعي الرافضي، والغزو الصليبي. [1]

لقد درج صلاح الدين على طريق العز، ونشأ على الفروسية، وتدرب على الحرب والجهاد ومارس السياسة وتدبير الأمور.

وفي المدة التي قضاها في دمشق بعد استيلاء نور الدين بن عماد الدين زنكي عليها ظهرت شخصية صلاح الدين الفذة، فكان محل احترام وتقدير، بل كان له من الاعتبار والمكانة ما لابن حاكم دمشق نفسه، وقد ظهر أمام المجتمع بمظهر الشاب الهادئ المهذب المتدين، المتقد غيرة على الإسلام والمسلمين بما طبع في نفسه من أخلاق نور الدين الذي أنزله لديه منزلة خاصة، ومن المناصب التي أسندت إليه في دمشق – في عهد نور الدين – منصب رئاسة الشرطة وقد قام بهذا المنصب أحسن قيام، واستطاع أن يطهر دمشق من عبث اللصوص، ومن شرور المفسدين، فأعاد الأمن والاستقرار في ربوع الشام، وبات الناس يأمنون على أنفسهم وأموالهم وينعمون بنعمة الحياة الهادئة المطمئنة الكريمة[2].

أما المدة التي قضاها صلاح الدين في مصر فتعد من أعظم الأيام التي أظهرت بطولته الفائقة وحنكته الحربية النادرة، فقد لازم عمه أسد الدين شيركوه في حملاته الثلاثة على مصر، وكان من ضمن رجاله الأفذاذ، فقد أظهر البراعة العظيمة والعبقرية الفذة في فنون الحرب والقتال، فبتدبيره وذكائه وحسن تصرفه استطاع مع عمه أسدالدين أن يضم مصر إلى الدولة النورية بعد تخليص الشعب المصري العظيم من براثين الدولة الفاطمية الشيعية الرافضية، وتلخص مما تقدم أن صلاح الدين نشأ في السنين الأولى من طفولته، وفي العقد الثاني والثالث من شبابه على الفضائل الكريمة،

1- على محمد الصلابي، المصدر السابق، ص 20.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 22.

والخصال الحميدة، واكتسب في مجالسته للأمراء، ومن مصاحبته للقادة العادات الأصيلة، والمهارة الحربية، والغيرة الإسلامية، والشجاعة المادية والأدبية وهذا ما أهله – باستحقاق وجدارة – لأن يكون من الشخصيات الفذة التي هزت الدنيا وساهمت في صناعة حقبة مهمة من التاريخ الإسلامي العظيم[1].

1-4/_ توليه الوزارة واهم الصعوبات التي واجهته:

أيقظت خلافة أسد الدين شيركوه في منصبه الكثير من الطموحات . إذ حدثت إثر وفاته خلافات وتنافسات على منصب الوزارة بين عدة فئات منها:

- المؤسسة العسكرية الفاطمية التي أرادت وزيرة مدنية مصرية تتحكم به .

- بعض أمراء نور الدين محمود الأتراك الذين رافقوا الحملة، مثل قطب الدين بنال بن حسان المنبجي، وعين الدولة الياروقي، وسيف الدين أحمد المشطوب وغيرهم.

- شهاب الدين محمود الحارمي، خال صلاح الدين .

تطلع هؤلاء إلى اعتلاء منصب الوزارة عقب وفاة أسد الدين شير كوه، بينما ظ صلاح الدين في الظل صامتة، لكن سانده الفقيه عيسى المكاري مقترحة ترشيحه لهذا المنصب، ونجح في استقطاب المشطوب والحارمي [2].

لكن الخليفة العاضد اختار صلاح الدين لاعتلاء منصب الوزارة خلفا لعمه، الاعتقاده أن صغر سنه، وافتقاره للتجربة سوف يرغمانه على الاعتماد على موظفي الدولة الفاطمية، وتجعله أداة سهلة في يد الخليفة يستغلها في القضاء على بقية أعوان أسد الدين شيركوه، وكان عمره آنذاك اثنتين وثلاثين سنة. وأمر القاضي الفاضل بإنشاء سجل توليته، ولقبه بالملك الناصر، وذلك في (٢٠ جمادى الآخرة عام 564 ها ٢٩ آذار عام ١١٩٩ م)، وقام الحارمي بدور نشط في إقناعه).

وبتولي صلاح الدين منصب الوزارة كآخر وزير سني في الدولة الفاطمية، وصل المد السني الذي بدأه السلاجقة قبل نحو مائة عام وأكمله الزنكيون، إلى مصر".

1- على محمد الصلابي، المصدر السابق، ص 20.

2- محمد سهيل طقوش، تاريخ الايوبيين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة، ط2، دار النفائس، لبنان، 2008،ص 21.

الخليفة. ونفذ عدة تدابير كفلت له السيطرة التامة، منها:

– استمال قلوب المصريين عن طريق بذل المال. – أخضع مماليك أسد الدين شير كوه، وسيطر على الجند بعد أن أحسن إليهم .

– قوى مركزه بما كان يمده به نور الدين محمود من المساعدات العسكرية ، وقد وصل أخوه توران شاه مع إحدى هذه القوى العسكرية).

وقد أدت التدابير التي اتخذها إلى تقوية قبضته على مقدرات الدولة، وتهميش دور الخليفة، مما أثار كبير الطواشية مؤتمن الخلافة قائد الجند السودانيين، وقد أدرك أن نهج صلاح الدين في الحكم، في حال استمراره، سوف يؤدي إلى القضاء على الخلافة الفاطمية، ويبدو أنه كان من بين الطامعين في خلافة شاور، ولما لم بفلح، راح يحيك الدسائس والمؤامرات ضد صلاح الدين، وحاول أن يتصل بعموري الأول، ملك بيت المقدس، لتحريضه على مهاجمة مصر، آملا في حال الاستجابة، أن يخرج صلاح الدين للقائه، فيقبض هو على من يبقى من أصحابه في القاهرة، ويثب على منصب الوزارة، ويتقاسم البلاد مع الصليبيين، غير أن صلاح الدين وقف على خيوط المؤامرة حين ارتاب أحد أتباعه في شكل الخفين اللذين اتخذهما رسول مؤتمن الخلافة إلى عموري الأول، فأخذهما ونزع خياطتهما، فاكتشف الرسالة بداخلهما، فقبض على مؤتمن الخلافة، وترقب الفرصة للتخلص منه، ثم إن اهتزاز مركزه في مصر شجع النصارى للقيام بمحاولة اخرى لمهاجمة هذا البلد[1].

2/_ انجازاته الحضارية والعسكرية:

2–1 جهوده في توحيد مصر والشام:

بعد سيطرت صلاح الدين على مصر ظل ينتظر الفرصة للتوسع نحو بلاد الشام وقد سنحت فعلا باختلال أوضاع هذا البلد، وهجوم الصليبيين على بانياس، واستنجاد ابن المقدم به، بناء على إلحاح سكان دمشق الذين خشوا من طموحات كمشتكين، وخطر الصليبيين على مدينتهم[2].

وخرج من القاهرة في (شهر صفر عام 570هـ شهر أيلول عام 1174 م) على رأس سبعمائة جندي، ورافقه سيف الدين طغتكين، وتقي الدين عمر، وعز الدين فروخشاه، وعهد إلى أخيه العادل

1– محمد سهيل طقوش، المرجع السابق،ص ص 21 22.

2– ابن الاثير، المصدر السابق، ص 380.

بإدارة شؤون مصر أثناء غيابه ، كما احتاط للمحافظة عليها، فوزع بعض عساكره على ثغورها ومداخلها)، ووصل إلى دمشق في نهاية شهر ربيع الآخر/ 28 تشرين الثاني) حيث استقبل استقبالا طيبة، وفتح له ابن المقدم في اليوم التالي أبواب المدينة وسلمها له وامتنعت عليه القلعة، وكانت بيد خادم اسمه جمال الدين ريحان، فاستماله صلاح الدين، وأقنعه بتسليمها له.

وهكذا ضم صلاح الدين دمشق وقلعتها، بحجة حماية الصالح إسماعيل من خطر الصليبيين، والأمراء الطامعين، واسترد الأملاك التي استولى عليها سيف الدين غازي الثاني أمير الموصل والجزيرة.

وتحت هذا الستار، أخذ ينفذ سياسته في إعادة بناء الجبهة الإسلامية المتحدة ، بحيث تمتد من شمالي العراق إلى بلاد الشام، فمصر، ليتمكن، بعد ذلك، من البدء في حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، والمسلمون أشد ما يكونون قوة وتماسك) [1].

ثم تابع تقدمه باتجاه الشمال المناوأة كمشتكين في حلب، بعد أن عين أخاه طغتكين واليا على دمشق، فضم حمص، وتقدم باتجاه حلب، بعد أن استعصت عليه القلعة

حيث كان قد تولى الملك الصالح إسماعيل الحكم بعد وفاة والده، ولما كان صغيرة لا يفقه تدبير شؤون الحكم، لذلك كان وجوده على راس السلطة اسمية فقط، بينما تمكن أعوانه من التلاعب بمقدرات الدولة، ونقلوا مركز الحكم من دمشق إلى حلب .

ومن حلب، بدأ كمشتكين، الوصي على الملك الصالح والمتفرد بحكم المدينة ، تنفيذ سياسة خاصة تقضي بتثبيت نفوذه، فاعتقل ابن الداية، وراح يخطط لإبعاد صلاح الدين عن حلب بكل الوسائل. فعندما تقدم صلاح الدين إلى حلب، بعث إليه كمشتكين كتابة، اتهمه فيه بحبه للغزو، والسيطرة على أملاك سيده نور الدين محمود وأبنه الملك الصالح".

والواقع أن صلاح الدين وقف على نوايا كمشتكين وغاباته، فكان يراسل الملك الصالح لتوضيح الأمر له، وإبداء النصح، منعا لتردي العلاقات بينهما).

ويبدو أن الملك الصالح لم يكن راضية عن تصرفات أمرائه إلا أنه كان ضعيفا لا يستطيع إبعادهم من حوله، كما كان سريع التأثر بهم نظرا لصغر سنه. وليس أدل على ضعف الملك الصالح وتلاعب كمشتكين بمقدراته أنه على الرغم من معارضته الاعتقال عز الدين جورديك، أمير حماة ورسول

1- ابن الاثير، المصدر السابق، ص 283.

صلاح الدين إليه لعقد صلح بين الطرفين، إلا أن كمشتكين لم يأبه لهذه المعارضة، فقبض على جورديك وأثقله بالحديد وعيه ووضعه في الحب الذي وضع فيه أولاد ابن الداية).

لذلك كان من الطبيعي أن يتوجه صلاح الدين إلى حلب لإنقاذ رسوله والملك الصالح من قبضة كمشتكين وضم حلب إلى أملاكه، نظرا لأهميتها في مخططه القاضي بتوحيد القوى الإسلامية : أغلق كمشتكين أبواب حلب في وجه صلاح الدين، الذي شرع في حصارها (03 جمادى الآخرة عام 570هـ 30 كانون الأول عام 1174 م) وكان أهلها يميلون إلى الإذعان له باستثناء الشيعة فيها[1]. وناشدهم الملك الصالح أن يحافظوا عليه من رجل يريد أن يسلبه إرثه، فاشترطوا لمؤازرته أن:

- يخصص الجانب الشرقي من الجامع لهم.
- يعاد الأذان ب (حي على خير العمل)، وأن يذكر ذلك في الأسواق .
- ذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بين يدي الجنائز .
- يكبر على الجنازة خمسة.
- تكون عقود نكاحهم إلى أبي طاهر الحسيني.

وافق الصالح إسماعيل على طلبهم بتأثير من كمشتكين[2].

حدث هذا في الوقت الذي لجأ فيه كمشتكين إلى الاستعانة بالحشيشية والصليبيين، لإبعاد صلاح الدين عن أسوار حلب. استجاب سنان زعيم الحشيشية ، وبعث بجماعة من الفدائيين في (جمادى الآخرة 570 هـ/ كانون الثاني 1170 م) لقتل صلاح الدين منكرين بزي الجند، فتمكن بعضهم من التسلل إلى خيمته، وأوشكوا على تنفيذ مؤامرتهم، لكن انكشف أمرهم، ونجا صلاح الدين من محاولة الاغتيال

بعد أن فشل الحشيشية في اغتيال صلاح الدين، أرسل كمشتكين إلى ريموند الثالث أمير طرابلس، والوصي على عرش مملكة بيت المقدس، يطلب منه العون"، وكان ريموند هذا قد التزم، بوصفه وصية

1- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق،ص ص 21 22.

2- حافظ ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء 14، الطبعة 7، مكتبة المعارف، بيروت، 1988 ، ص ص 288 289.

على عرش مملكة بيت المقدس، أن يحد من تعاظم قوة صلاح الدين، إذ لم يكن بوسع الصليبيين أن يمنعوا وحدة دمشق والقاهرة، غير أن حلب ما زالت على الأقل خارجة عن الاتحاد.

وهكذا أدرك الصليبيون أن استقلال حلب وبقاءها في يد البيت الزنكي هو الضمان الوحيد لمنع قيام وحدة إسلامية تمتد من النيل إلى الفرات، وقد توافقت مصالحهم مع مصالح الزنكيين في هذا الشأن).

حاول ريموند الثالث الالتجاء إلى الوسائل السياسية فأرسل إلى صلاح الدين برغبه في الصلح ويلوح له بأن «الفرنج قد تعاضدوا وصاروا يدا واحدة. لكن صلاح الدين لم يخش التهديد، ورد على ريموند الثالث بالإغارة على أعمال أنطاكية". عندئذ لم يجد الحاكم الصليبي وسيلة لإبعاد صلاح الدين عن حلب سوى مهاجمة حمص، فظهر أمامها وشرع يهاجم أسوارها، تسانده الحامية المرابطة في القلعة التي ظلت على وفائها للزنكيين. وفعلا اضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عن حلب وارتحل عن أسوارها لإنقاذ حمص، غير أن ريموند الثالث لم يمكث ليلتقي به، فعاد إلى حصن الأكراد بعد أن تأكد من تحقيق غرضه). ولما اطمأن صلاح الدين على سلامة حمص، غادرها متوجها إلى بعلبك وضمها إلى أملاكه.[1]

لم يحل شهر نيسان حتى أضحي صلاح الدين يبسط سلطانه على كامل بلاد الشام حتي حماة شمالا، فانصرف بعد ذلك إلى العمل على إضفاء الشرعية على وضعها أمام المسلمين. فكتب إلى الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله رسالة طويلة عذد فيها فتوحاته وجهاده ضد الصليبيين لخدمة الخلافة العباسية، وبخاصة إعادته الخطبة إلى العباسيين في مصر، وتأمين الطريق إلى الحجاز واليمن، ثم أشار، في رسالته، بأنه قدم إلى بلاد الشام الإصلاح الأمور، وحفظ الثغور، وخدمة ابن نور الدين محمود، وطلب في ختامها تقليدة بمصر واليمن والمغرب وبلاد الشام، وجميع ما اشتملت عليها دولة نور الدين محمود، وكل ما يفتحه بسيفه[2].

1- العماد الاصفهاني، تح:ناظم رشيد، ديوان الاصفهاني، مطابع جامعة الموصل، 1983، ص ص 180 182.

2- نفسه ،ص 183.

2-2/_محاربة المذهب الشيعي ونشر المذهب السني:

عندما استقر صلاح الدين في منصب الوزارة في مصر شرع في اتخاذ موقف استقلالي عن نور الدين محمود، والواضح أنه كان يعد نفسه لإحداث تغيير جذري وشامل داخل مصر في كافة المجالات.

كانت مهمته هي التصدي للمشكلات التي أثارها مركزه في مصر. فالتناقض الظاهر من وجود وزير سني لدى خليفة فاطمي لم يكن بالوضع الجديد، لأنه طيلة قرن تقريبا كان هناك وزراء سنيون على مراحل متقطعة في مصر، لكن حركة الجهاد الإسلامي التي قادها نور الدين محمود تحت راية دولة الخلافة العباسية، بالإضافة إلى قيام وحدة فقالة بين بلاد الشام ومصر، تقف في وجه الصليبيين ؛ حتمت على نور الدين محمود، وبالتالي صلاح الدين، الالتزام في إعادة مصر إلى حظيرة الولاء اللعباسيين ، لكن الضرورة دعته إلى تمهيد السبيل أمام التغيير، رغم إلحاح نور

الدين محمود وعتاب الخليفة العباسي، لأنه أدرك أن التغيير السريع لا بد أن يولد رد فعل فوري معاكس لا يمكن تدارك نتائجه.

وضمنت الخطوات التمهيدية العسكرية والاقتصادية والدينية التي نفذها إحكام قبضته على البلاد، بحيث إذا أقدم على إسقاط الخلافة الفاطمية [1]

فمن حيث التدابير العسكرية، فقد كمن الخطر الرئيسي في الجيش المصري المؤلف من فرق عديدة من الفرسان البيض والمشاة من السودانيين، فبدأ صلاح الدين على الفور ببناء جيشه الخاص على حساب الضباط المصريين، فكانت الفرقة الصلاحية، وانضمت إليه الفرقة الأسدية التي أنشأها أسد الدين شيركوه، كما استعان بالمماليك الأتراك، لأنه وجد نفسه بأمس الحاجة إلى من يشد أزره، وينصره على أعدائه عندما تشتد الأزمة، وعندما اندلعت ثورة السودانيين، كان قد أصبح لديه من القوات النظامية ما يكفي للقضاء على القسم الأكبر منهم، وطردهم خارج القاهرة إلى الصعيد.

1- شهاب الدين عبد الرحمن ابي شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 2،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت ،2002،،ص 183.

إلى جانب هذه القوات النظامية، استفاد صلاح الدين من نظام الإقطاع العسكري الذي أخذه عن الزنكيين، وطبقه في مصر حيث كان لزاما على المقطع عدة التزامات مقابل الموارد التي يحصلها من الإقطاع، ومعظمها التزامات عسكرية مثل تقديم الجند وقت الحرب والإنفاق عليهم".

ومن حيث التدابير الاقتصادية، فقد استقدم صلاح الدين والده وإخوته للتعويض عن الفراغ الذي تركه تنحية الأشخاص الموالين للدولة الفاطمية. فعين والده على الخزانة مما أتاح له السيطرة على موارد الدولة. والتفت إلى إصلاح النظام الاقتصادي ليكسب محبة المصريين، فأبطل المكوس الديوانية بمصر والقاهرة، التي كانت الدولة تجي منها سنوية مائتي ألف دينار، فمال المصريون إليه، وأطلق حرية التجارة

وفيما يتعلق بالتدابير الدينية، فقد التفت صلاح الدين في أواخر عام 565 هـ منتصف عام 1170 م) إلى إضعاف المؤسسة الفاطمية، والمذهب الإسماعيلي من جهة، وتقوية المذهب السني في مصر من جهة أخرى، وقد ساعده على ذلك أنه كان له الإشراف على القضاء والدعوة معا، فأبطل في (10 ذي الحجة عام 565 هـ/ 28 آب عام 1170 م) من الأذان حي على خير العمل، وأمر بأن يذكر في خطبة الجمعة أسماء الخلفاء الراشدين، ونزع المناطق الفضية التي كانت في محاريب مساجد القاهرة والتي تحمل أسماء الخلفاء الفاطميين، وأثار قضية التشكيك بنسبهم. وأمر في شهر محرم عام 566 ها شهر أيلول عام 1170 م) بهدم دار المعونة المجاورة للجامع العتيق في مصر، وبناها مدرسة للشافعية، كما بنى دار الغزل المجاورة لباب الجامع وخصها للمالكية، وغرفت بالمدرسة القمحية، وحول دار سعيد السعداء الواقعة شمالي القصر الفاطمي الشرقي إلى خانقاه للصوفية، وهي أول خانقاه نشا في مصر، وأبطل مجالس الدعوة من القصر والجامع الأزهر .[1]

استتبع هذا التغيير المذهبي تغيير في رجال القضاء، فعزل جميع القضاة الشيعة الإسماعيليين، وفوض قضاء مصر في (شهر جمادى الآخرة عام 566 هـ شهر آذار عام1171م) للقاضي صدر الدين أبي القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني الشافعي). فاشتهر منذ ذلك الوقت، المذهب الشافعي في مصر.

[1] عبد الرحمن عزام ،صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السني، ت:قاسم عبده قاسم ، ط1 ، دار بلومزيري – مؤسسه قطر للنشر،2013،ص116.

ومن أشهر مظاهر تحول مصر إلى المذهب السني، نشر المذهب الأشعري . فقد كان صلاح الدين يتعصب لهذا المذهب متأثرة بالسلاجقة.

وبهذه الإجراءات ذات الطابع الديني، ضمن صلاح الدين سيطرته على النواحي الدينية، كما شين مراسلات الدولة بعد أن عين القاضي الفاضل رئيسة الديوان الإنشاء

وهكذا توضحت أهداف صلاح الدين مع نهاية عام 66هـ /1171 م)،

فهو سواء بحكم عقيدته السنية أو بدافع حبه للسيطرة والاستقلال، كان يرغب في إسقاط الدولة الفاطمية في مصر ليكون لنفسه ولأسرته دولة فيها، ومن خلال هذه التطلعات تحددت علاقاته بنور الدين محمود

إقامة الخطبة للعباسيين:

الواضح أن صلاح الدين، الذي توضحت نيته في إسقاط الخلافة الفاطمية ، راح يتمهل في تنفيذ هذه الخطوة لسببين:

الأول: إن التغيير السريع قد يؤثر على مصالحه ومصالح أسرته في الوقت الذي حرص فيه على تجنب إراقة الدماء. وكان الخليفة الفاطمي العاضد لا يمتلك من القوة ما يمكنه من التخلص من الوضع الجديد).

الثاني : أنه خشي الانصياع لطلب نور الدين محمود في قطع الخطبة للفاطميين ، لأن ذلك قد يدفعه إلى انتزاع مصر منه.

فاعتذر بالخوف من وثوب أهل مصر، وامتناعهم عن الاستجابة إلى ذلك لميلهم للعلويين . إذ أن المؤثرات الشيعية كانت لا تزال قوية في مصر، والواقع أن نور الدين محمود، الذي رأى في صلاح الدين كنائب عنه في مصر، كان متلهفة إلى تحقيق وحدة المذهب الإسلامي بين بلاد الشام ومصر، بالإضافة إلى تطلعاته السياسية، بضم مصر إلى بلاد الشام لتحقيق الوحدة الإسلامية، والاستفادة من إمكانات مصر الاقتصادية والبشرية في جهاده ضد الصليبيين، وأنه متى أراد سحب صلاح الدين لا يمتنع عليه.[1]

[1] فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصلبيين في العصر الأيوبي ، ط1 ، دار الإعتصام ، القاهرة ،ص38.

إنطلاقا من اختلاف النظرة السياسية بين الرجلين، رفض نور الدين محمود حجة صلاح الدين، وأرسل إليه إنذار نهائي في شهر ذي الحجة عام 566 هـ شهر آب عام 1171 م) بامره بإسقاط الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد، وإقامتها للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (599- 570 هـ1170 - 1180 م) وألزمه إلزاما لافسحة له في مخالفته).

وهكذا وجد صلاح الدين نفسه بين أمرين: الأول : الوقوع في أزمة مع نور الدين محمود. الثاني : التعرض لخطر ثورة الشيعة في مصر.

ويبدو أنه رأى أن الأمر الثاني أخف وطأة، لأن غالبية السكان في مصر لم تعتنق المذهب الإسماعيلي باستثناء فئة قليلة العدد نسبية ممثلة في الأقليات الأجنبية التي دخلت مع الفاطميين، أو الذين استعان بهم هؤلاء طوال مدة حكمهم من أجل تحقيق أهدافهم، وما زالت نسبة كبيرة من أهل مصر يرفضون التشيع، في حين أن الخلافة الفاطمية قد ضعفت، ولم يعد لها القدرة على التحرك بعد القضاء على الجند السودانيين".

وجاءت الخطوة في السابع من شهر محرم عام 67هـ ها العاشر من شهر أيلول عام 1171 م عندما قطع صلاح الدين الخطبة في مصر للخليفة العاضد الفاطمي، وأقامها للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي، وأعاد السواد شعار العباسيين .[1]

وقد تم هذا التحول في هدوء). فأعيدت بذلك الوحدة المذهبية للعالم الإسلامي في الشرق الأدنى، والوحدة السياسية بين بلاد الشام ومصر، وتسلم صلاح الدين القصر الفاطمي، وقبض على أولاد العاضد، وحدد إقامتهم في القصر بعدما أجرى عليهم ما يمونهم. وكان العاضد، أثناء ذلك، مريضاً، فلم يشأ صلاح الدين إزعاجه، فأمر رجاله بان ينهوا إليه بالأنباء، وقال: فإن عوفي فهو يعلم، وإن توفي فلا ينبغي أن تفجعه بهذه الحادثة قبل موته .نهاية الدولة الفاطمية

وبذلك يكون صلاح الدين قد وضع نهاية للدولة الفاطمية، في مصر، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخها، عادت فيها هذه البلاد إلى العالم الإسلامي السني، ولتؤدي ، تحت قيادة الأيوبيين، دورا هاما في توحيد الجبهة الإسلامية، ومواجهة الصليبيين، وانتهى دور الدولة الفاطمية السياسي في التاريخ، وتهيء الجو لقيام الدولة الأيوبية.

[1] فايد حمادة محمد عاشور ، المرجع السابق ،ص38-39.

2-3/_ردع الصليبيين واسترداد بيت المقدس :

كانت القدس عند صلاح الدين في قلب المعركة في الصراع مع الصليبيين، وكان لابد من الإعداد والاستعداد الطويل لها، فالطريق إلى تحرير القدس كما رآها مملوءة بالصعوبات

وإذا كان فتح القدس قد استغرق بضعة عشر يوما، فإن الإعداد له استغرق حياة جيلين، منذ قام عماد الدين زنكي يقاتل الصليبيين وعينه على المدينة المقدسة.

وقد كان لازما لصلاح الدين، وهو يعد أمته للمواجهة الشرسة مع الصليبية، أن يهتم بإصلاح جبهته الداخلية، لأن العدو إذا خرج من الداخل كان أشد خطورة، كما أن الجبهة المهلهلة المتفرقة لا تصبر في وجه عدو، فاتخذ ثلاثة إجراءات كبيرة هي:

- الإصلاح العقائدي بإلغاء الدولة الفاطمية ودعوتها.
- ثم مقاومة الفتن الداخلية.
- ثم توحيد ما استطاع توحيده من البلاد الإسلامية[1]

كما اتبع صلاح الدين سياسة عمرانية واقتصادية واجتماعية تهدف إلى خدمة سعيه نحو تحرير العالم الإسلامي، وإخراجه من ورطته الحضارية، التي كانت الهزيمة والتراجع أمام الصليبيين نتيجة من نتائجها، واحتاج تنفيذ هذا كله من صلاح الدين أن يخوض معارك شديدة الخطورة، فلقي مقاومات عنيفة، لكنها فشلت في أن تحول دون التغييرات التي سعى إليها.

حطين تفتح الطريق إلى القدس:

غربي طبرية، وعلى الطريق المؤدية إلى القدس جنوبا، وسط منطقة خضراء فيها زروع وبحيرة وماء كثير، تقع حطين، ويشرف عليها تل مرتفع.. كانت فلسطين في القرن السادس الهجري مملوءة بالصليبيين الذين أشعل صلاح الدين الأرض من تحتهم نارا منذ وفاة نور الدين، فكان يفاجئهم بالحرب في مواقع كثيرة، ويحرر منهم الحصون والمدن، حتى جاء موعد حطين في سنة خمسمائة وثلاث وثمانين، حيث خرج صلاح الدين من دمشق في شهر المحرم، وتوجه إلى البصرى، وانتظر عودة

[1] علي محمد علي ، المرجع السابق ، ص476-477.

الحجاج من الحجاز ليؤمنهم من غدر أمير الكرك الذي قتل ركا للحجيج قبل ذلك، وتعرض بالإهانة لنبي الإسلام ، صلى الله عليه وسلم [1].

فأقسم صلاح الدين على الانتقام منه بنفسه، قلما عبر الحجيج سالمين، سار السلطان الناصر صلاح الدين بجنوده نحو الكرك، فنزلها وقطع ما حولها من الأشجار، ورعي الزرع، وأكلوا الثمار)... وأقبلت القوات إلى صلاح الدين من مصر وشتى أنحاء مملكته[2].

وبلغت تحركات صلاح الدين مسامع الصليبيين، فأخذوا يجمعون جحافلهم، ويجشون جيوشهم، وفيهم ملوكهم الكبار، وخرجوا إلى صلاح الدين وقواته، وأقبل السلطان الناصر زاحفا، ففتح طبرية، وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك"، ومنع الماء عن الصليبيين حتى كاد العطش يهلكهم، وتقدم المسلمون حتى نزلوا حطين.

وفي يوم حار من أيام شهر يوليو، في الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، كانت حلوق الصليبيين يوم المعركة ملتهبة من العطش، وهم يحملون شعارهم المقدس، صليبا من الخشب، وقد زينوه بالذهب والجوهر الكثير، وأسموه صليب الصلبوت؛ لاعتقادهم أن المسيح صلب عليه وأخذوا يزحفون جهة صلاح الدين الذي انسحب من أمامهم ليستدرجهم إلى موضع أفضل للقتال بالنسبة لجيشه، وسيطر المسلمون على المياه ومصادرها، وأعطوا ظهورهم للأردن، واستقبلوا العدو في جمعة الكبير، خمسين ألفا، في هذه اللحظة انطلق الفرسان من الجانبين في قتال مرير، وارتفعت صيحات المسلمين بالتكبير، وقاتل الناصر صلاح الدين بنفسه، وطاف بين جنوده يحرضهم على القتال، وأمر بإشعال الأرض بالنقط من تحت أقدام أعدائه حين رأى العشب الجاف يكسوها، فاجتمع على الصليبيين حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال، وحمل القائد المسلم وجنوده حملة صادقة كان فيها الحسم، حيث وقعت في الصليبيين مقتلة عظيمة، وراحوا يستسلمون للمسلمين جماعات فكان الرجل الواحد من المسلمين ياسر العشرات من الصليبيين، يقيدهم بالحبال، حتى استسلم ملوك الصليبيين، ووقع أكثرهم في الأسر، وواصل السلطان الناصر سيره، حتى استولى على قلعة طبرية الحصينة، وافتتح عكا

1- ابو المحاسن بهاء الدين ابن شداد، سيرة صلاح الدين الايوبي المسمى المحاسن السلطانية والنوادر اليوسفية،هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ،،ص 160.

2- عارف باشا العارف، تاريخ القدس، دار المعارف،مصر، (د ت ن) ص136.

صلحا، ثم سار منها إلى صيدا وبيروت وتلك النواحي من السواحل يأخذها بلا بلاء لخلوها من المقابلة والملوك، ثم رجع سائزا نحو غزة وعسقلان ونابلس وبيسان وأرض الغور، فملك ذلك كله

وكان جملة ما افتتحه السلطان في هذه المدة القريبة خمسين بلدا كبارا"[1].

صلاح الدين يحرر القدس:

كانت أنشودة رائعة للنصر، تلك التي غناها صلاح الدين في حطين، حيث حرر بعدها المدن والقلاع من يد الصليبيين واحدة بعد الأخرى، وكان المسلمون بعدها يترقبون بشوق عارم أن يعلن السلطان التوجه إلى بيت المقدس، فلما أعلن ذلك طارت بهم أرواح الشوق، فقصده المتطوعون من العلماء والصالحين من أنحاء العالم الإسلامي، وأتاه أخوه الملك العادل من مصر في قواته، فاجتمع لدي صلاح الدين جيش كبير، سار به من عسقلان إلى القدس.

وقف الجيش المسلم أمام المدينة المطلة على الدنيا من فوق مرتفعاتها في كبرياء وشموخ، بعد أن وجه صلاح الدين أسطوله البحري في مصر إلى الشواطئ قبالة القدس، ليمنع وصول أي مساعدة إلى الصليبيين.

وأنزل صلاح الدين أخاه العادل في جيشه جنوب سور المدينة ليشغل العدو بهذه الناحية، ويشتت فوائهم حول الأسوار المنيعة، ونزل السلطان نفسه في الناحية الغربية من القدس، وبقي في موضعه

هذا خمسة أيام يحاول اقتحام المدينة، والعدو يزيد هذه الناحية تحصينا، حتى أيقن صلاح الدين أن الصليبيين قد ركزوا أكثر اهتمامهم وقواتهم وعتادهم في السور الغربي للمدينة، فتحول فجأة إلى السور من جهته الشمالية، ووقع القتال ساختا، حتى استشهد بعض أمراء المسلمين، فازدادت النفوس حماسة وإصرارا على القتال، وأبصر المسلمون الصلبان فوق قبة الصخرة وفوق الأسوار، فازدادوا حماسة لإبطال هذا كله، وتساقطت الأحجار من المجانيق على السور كالمطر الغزير، وتحت وابل هذه

1- عبد الله صالح علوان، صلاح الدين الايوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، دار الاسلام، مصر، ص232.

الأحجار ثقب المسلمون السور من زاويته الشرقية الشمالية، حتى انهدم البرج القائم هناك، وانفتح الطريق أمام المسلمين لاقتحام المدينة[1].

كان أمام المسلمين أن يعملوا في أعدائهم قتلا وذبحا، ويملأوا شوارع المدينة المباركة من دماء القتلى، لكن صلاح الدين قبل أن يصالح الصليبيين، وتسلم منهم القدس المباركة في السابع والعشرين من شهر رجب، أي ما يوافق ليلة الإسراء والمعراج من سنة خمسمائة وثلاث وثمانين.

ومسح القائد المنتصر عن المدينة دموعها، وعالج آلامها، وردها إلى سالف عهدها مدينة إسلامية يرفع فيها الأذان، وتقام الجمعات.

وفي أثناء تطويقه للقدس فشل الوفد الصليبي المفاوض لصلاح الدين في الحصول على موافقته على الصلح قالوا: "أيها السلطان، اعلم أننا، في هذه المدينة، في خلق كبير لا يعلمهم إلا الله تعالى، وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان، ظنا منهم أنك تجيبهم إليه كما أجبت غيرهم، وهم يكرهون الموت، ويرغبون في الحياة، فإذا رأينا أن الموت لا بد منه، فوالله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا، ولا نترككم تغنمون منها دينارا واحدا، ولا درهما، ولاتسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة. وإذا فرغنا من ذلك أخرينا قبة الصخرة والمسجد الأقصى وغيرهما من المواضع، ثم نقتل من عندنا من أسرى المسلمين، وهم خمسة آلاف أسير، ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا إلا قتلناه، ثم خرجنا إليكم كلنا، فقاتلناكم قتال من يريد يحمى دمه ونفسه، وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله، وتموت أعزاء أو تظفر كراما، فاستشار صلاح الدين أصحابه، فأجمعوا على إجابتهم إلى الأمان، وأن لا يخرجوا ويحصلوا على ركوب ما لا يدري عاقبة الأمر فيه عن أي شيء تنجلى، وتحسب أنهم أسارى بأيدينا، فتبيعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم، فأجاب صلاح الدين حينئذ إلى بذل الأمان للفرنج، وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب، وكان يوما مشهودا، ورفت الأعلام الإسلامية على أسوارها[2].

1-شهاب الدين عبد الرحمن ابي شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية،ج3،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت ،2002، ص ص 133 134.

2- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 45.

الفصل الثاني: ابن تيمية

1/_ سيرته الذاتية:

1-1/_نشأته.

1-2/_ قوة حافظته.

1-3/_نشاطه العلمي.

1-4/_وفاته وثناء الأئمة عليه.

2/_ دوره المعرفي والحضاري:

2-1/_ اسهامه في المعرفة.

2-2/_رده على الشبهات.

3/_ دوره السياسي والعسكري:

3-1/_السياسي.

3-2/_العسكري.

III /_ دور ابن تيمية في الحضارة الإسلامية:

1/_ سيرته الذاتية:

1-1/_نشأته:

هو أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن تيمية الحنبلي[1]، الحافظ تقي الدين أبو العباس الحراني ثم الدمشقي الفقيه المحدث،ولد في عشرة من ربيع الأول 661هـ/ 1263م في مدينة حران[2]، لم يذكر المؤرخون الذين قرأت لهم من قبل نسب اسرة ابن تيمية الا انه الحراني فنسبوه الى حران موطن اسرته الأول ولم ينسبوه الى قبيلة عربية وهذا يشر الا أنه لم يكن كذلك ولذلك نستطيع أن نعلم علما ظنيا انه لم يكن عربيا ولعله كان كرديا وهم قوم ذو همة و نجدة وبأس شديد وفي اخلاقهم قوة وحدة وتلك الصفات كانت واضحة فيه جليا مع أنه نشأ في داعة العلماء و اطمئنان المفكرين و هدوء المحققين[3] ،وفي أسرة علم وفقه، فقد كان جده مجد الدين أبو البركات فقيها حنبليا، وإماما مقرئا ومحدثا ومفسراً أصولياً نحويا[4].

قال الذهبي: (قال لي شيخنا أبو العباس بن تيمية: كان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول: ألين للشيخ المجد والفقه كما ألين الحديد لداوود) [5] ، ووالده الشيخ شهاب الدين أبي أحمد عبد الحليم بن عبد السلام نزيل دمشق، سمع من والده وغيره، أتقن العلوم، ودرس وأفتى وصنف وصار شيخ البلد (في حران) بعد أبيه، قال الذهبي عنه:

"كان إماما محققا كثير الفنون له يد طولى في الفرائض والحساب والهيئة دينا متواضعا ومن أنجم الهدى وإنما اختفى من نور القمر وضوء الشمس" يشير بذلك إلى اشتهار أبيه وابنه –كان للشيخ شهاب الدين كرسي بالجامع الأموي في دمشق حين انتقل إليها يلقي درسه عليه في أيام الجمع، وقد

1- عبد السلام حافظ، **الامام ابن تيمية**، ط 1، مكتبة مصطفى البابي والحلبي واولاده، مصر، 1969، ص10.

2- حافظ ابن كثير، المصدر السابق، ص136.

3- محمد أبو زهرة، **ابن تيمية حياته وعصره–أراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991 ، ص18 .

4- أبي البركات خير الدين الألوسي، **جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين ابن تيمية–ابن الهيتمي**، تح :الداني ابن منير آل زهوي، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص 28 .

5- أبو الحسن علي الحسني الندوي، **رجال الفكر والدعوى في الاسلام**، تق :د.مصطفى الخن، ج 2، ط3، دار ابن كثير، دمشق-بيروت 2007 ،ص484.

تفقه عليه ولداه أبو العباس وأبو محمد، فلا عجب أن نرى ابن تيمية قد برع في أنواع العلوم وهو قد نشأ في ظل هذه الأسرة.

كان عصر ابن تيمية مليئا بالقلاقل والفتن، وفظائع التتر وغاراتهم على العالم الإسلامي حيث استطاعوا إخضاع جزئه الشرقي تحت سيطرتهم، كما استولوا على بغداد وشمال بلاد الشام حتى وصلوا قرب حران.

وكان ابن تيمية قد بلغ من العمر سبع سنين حين أغار التتر على حران مما حدا بأسرة ابن تيمية أن تفر من حران إلى دمشق بجميع ما لديها من تراث علمي فنقلت معها مكتبتها الثمينة التي كانت تعتز بها، حيث لم ترضى بمفارقتها رغم المصاعب الكثيرة التي ستلاقيها من وراء ذلك، فحملت كتبها على مركبة، وخرجت هاربة ليلا من حران لم يفارقها الخوف أثناء ذلك من مباغتة التتر لهم، خاصة وأن معهم النساء والصبيان، وزاد من مشقة الرحلة وصعوبتها أن المركبة كانت بدون دواب لعدم توفرها في تلك الأثناء، فكانت تجر بالأيدي وهم يتضرعون إلى الله سبحانه وتعالى –مستعينين به– لكي ينجيهم من هذه الغمة، حتى أنجاهم الله من التهلكة ووصلوا دمشق بسلام[1].

ولنا أن نتصور مدى تقرير هذه الأسرة للعلم وحبها له لهذه الدرجة فقد كانت بطريقتها هذه ستعرض نفسها للهلاك لو استطاع التتر اللحاق بهم، فلم يكن في الوقت متسع إلا للوصول بهم بدون متاع، فما بالنا ومعهم هذه الأثقال من الكتب التي تطلبت منهم وضعها في عربة وجرها بأنفسهم، ولكن الله سلمهم وأيدهم بنصره و ما كادت الأسرة تحط رحالها في دمشق حتى شاع خبر قدومها بين الناس، إذ أن شهرة الأسرة العلمية قد سبقتهم إلى البلاد، فقد كان أهل العلم عارفين من هو عبد الحليم ابن تيمية وأبوه مجد الدين أبو البركات ومدى تضلعهم في العلم، فلم تمض سوى بضعة أيام حتى باشر الشيخ عبد الحليم التدريس ونشر العلم في الجامع الأموي، ودار الحديث السكريه، وصار في وضع كريم بين الطلبة وعلماء المذهب الحنبلي، فلم تشعر الأسرة في دمشق بالغربة أو الوحشة بل باشرت حياتها كما لو كانت في حران، تربى ابن تيمية في ظل دروس أبيه وانتهى من حفظ القرآن الكريم منذ وقت مبكر، ودرس علوم الفقه والحديث والعربية، وكان رغم صغر سنه

1– ابن عبد الهادي الدمشقي، **العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية**، تح : أبي مصعب طلعت بن فؤاد الجلواني، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 2002، ص4.

يغشى مجالس العلم والوعظ عند والده وبقية العلماء في حلقاتهم ويشاركهم في المذاكرات العلمية، مما أدى إلى توسع عقله، ونمو مداركه، وتفتح ذهنه، فتحدث عنه معاصروه ومؤرخوه أنه رغم صغر سنه لم يكن يتجه كالصبيان إلى الملاعب والملاهي ويضيع فيها وقته، بل كان جل وقته يقضيه في مجالس العلم والذكر والاطلاع، ولم يلتفت إلى ملاذ الدنيا وحوائجها فذكر لنا البزار عن شيخ ابن تيمية الذي علمه القرآن: "أن والده دفع للشيخ أربعين درهما لكي يعطيها لابن تيمية ترغيبا في حفظ القرآن الكريم ووعده أن يعطيه مثلها كل شهر إن استمر في الحفظ، إلا أن ابن تيمية رفضها وقال لشيخه (يا سيدي إني عاهدت الله تعالى أن لا آخذ على القرآن أجرا)[1].

1-2/_ قوة حافظته:

كان ابن تيمية مشهورا منذ الصغر بقوة ذاكرته وسرعة حفظه، وقد ورث هذه النعمة عن والده وجده حيث أنعم الله عليهم بها، وقد فاقهم فيها ابن تيمية، فذكر لنا تلميذه ابن عبد الهادي أن أحد شيوخ حلب قدم دمشق وسأل عنه فدلوه عليه فاختبر قوة حافظته بأن أملى عليه بضع عشرة حديثا من متون الحديث، ثم طلب منه أن يسمعه إياها فقرأها عليه كأحسن ما يكون، ثم طلب منه أن يمحوها وأملى عليه عدة أسانيد ثم طلب منه أن يسمعه إياها، فأسمعه إياها كالمرة الأولى، فقام الشيخ الحلبي وهو يقول: (لئن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم).[2]

1-3/_نشاطه العلمي:

تأهل ابن تيمية للفتوى والتدريس وهو في سن الثانيوالعشرين، وقد أمده الله بقوة الذاكرة والحفظ وبطء النسيان وسرعة استحضار الآيات والأحاديث للاستدلال، حتى قال غير واحد أنه لم يكن يحفظ شيئت فينساه، وتضلع بعلم الحديث وحفظه فقالوا: (إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث)[3].

توفى والده وهو ابن إحدى وعشرون سنة، فقام بوظائفه من بعده بمدة، فدرس بدار الحديث السكرية 683هـ، وحضر عنده مجموعة من العلماء والقضاة، منهم الشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية، وابن المرحل، وابن المنجا، وغيرهم من كبار العلماء، فذكر ابن تيمية درسا عظيما في البسملة بهر الحاضرين به، فأثنوا عليه جميعا، وكان الشيخ تاج الدين الفزاري يحب ابن تيمية وشديد التعظيم والإكرام له، وقد أعجب بدرسه هذا كثيرا فعلق بخطه على درسه هذا[4].

1- ابن عبد الهادي الدمشقي، المصدر السابق، ص4 .

2- محمد مهدي الإستنبولي، **ابن تيمية بطل الإصلاح الديني**، ط2، دارالمعرفة، دمشق، 1977، ص11.

3- أبو الحسن علي الحسني الندوي، المرجع السابق، ص456 .

4- ابن كثير ، المصدر السابق ،ص303 .

واصل ابن تيمية خطى والده فكان يجلس في كل يوم جمعة بالجامع، في نفس مكان والده لتفسير القرآن الكريم، فكان يورد في المجلس في تفسير القرآن العظيم نحو كراسين أو أكثر من حفظه بدون سابق تحضير. قال البزار: "كان إذا قرئ في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقض المجلس بجملته والدرس بزمنه وهو في تفسير بعض آية منها"[1].

كان رحمه الله قد جعل من وقته فترة معينة تقدر بربع النهار لشرح القرآن الكريم، بدون أن يكون هناك سابق تحضير لما يريد أن يلقيه فقد كان يدع من حضر يقرأ ما تيسر له، ثم يشرع هو في تفسيره وكان غالبا ما ينهي درسه لمصلحة السامعين، فإنه كان يفهمهم أنه لولا مضى الزمن المعتاد لزادهم في الشرح والتفسير. وكان ذلك من كريم خصاله فلم يكن يريد أن يضيق على الحاضرين ويحرجهم باستبقائهم أكثر من الوقت المعتاد حرصا على أشغالهم ،كان مجلسه يضم كثيرا من طلاب العلم فيغترفون من بحره الواسع لكثرة علمه وتبحره الواسع في شتى المجالات ويصف لنا ابن كثير حالة مجالسه فيقول: "كان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير، من كثرة ما يورد من العلوم المتنوعة المحررة، مع الديانة والزهادة والعبادة، سارت بذكره الركبان في سائر الأقاليم والبلدان"[2].

حدث في دمشق سنة 693هـ ما أجج عاطفة ابن تيمية الإيمانية وأثار حميته الدينية بشكل عملي حيث قام رجل في دمشق اسمه عساف النصراني يشتم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد شهد عليه جماعة من الناس بذلك فتوجه الشيخ ابن تيمية مع الشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث، فدخلا على الأمير عز الدين أيبك الحموي وقصا عليه الحكاية فطلب النصراني وعقد له مجلس بحضور الشهود، ثم أسلم النصراني وانتهت المسألة فألف ابن تيمية في هذه الحادثة كتابه المشهور "الصارم المسلول على شاتم الرسول".[3]

1- الحافظ عمر ابن علي البزار، **الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**، تح:د.صلاح الدين المنجد، ط1، دارالكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1976، ص23.

2- ابن كثير، المصدر السابق، ص303

3- محمد أبو زهره، المرجع السابق، ص33.

1-4/_وفاته وثناء الأئمة عليه:

خرجت دمشق على بكرة أبيها في يوم الاثنين لعشرين خلت من ذي القعدة سنة 728هـ لرؤية جنازة الشيخ ابن تيمية قبل أن يوارى التراب وخرج كثير من النساء والصبيان حين سمعوا بخبر وفاته وحضر جماعة للتبرك به وتقبيله ثم صلى عليه بالقلعة ثم حمل إلى جامع دمشق للصلاة عليه بعد صلاة الظهر فامتلأت الطرقات بالناس واشتد الزحام حتى حمل النعش على الرؤوس إلى أن ووري الجثمان التراب، بلغ عدد الرجال الذين مشوا في جنازته حوالي ستين ألف أو أكثر وعدد النساء خمسة عشر ألفا[1].

وللتبرك به شرب جماعة الماء الذي فضل من غسله واقتسموا بقية السدر الذي غسل به وقاموا بشراء لوازمه بأثمان باهظة فدفع في طاقيته خمسمائة درهم وفي خيط الزئبق الذي يضعه في عنقه لدفع القمل مائة وخمسين درهما[2].

وكان رحمه الله نموذجا للعالم المسلم في علمه وزهده وعبادته كما كان في شجاعته وصبره وعفوه، جذب إليه كثيرا من العلماء بقوة شخصيته ووفرة علومه كما نفر منه البعض لهذه الأسباب حسدا منهم وحقدا فأثنى عليه علماء عصره ومن أتى بعدهم ثناء لم ير له مثيل حتى عدوه بمكان الفقهاء الأربعة لولا بعد الزمن بينه وبينهم.

وهنا سنذكر بعض أقوال العلماء في الثناء عليه إذ لا يمكننا حصر ذلك مهما حاولنا لكثرته:

قال عنه ابن الزملكاني: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها... إلى أن قال:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة الله قاهـــــرة هو بيننا أعجوبة الدهـــر

هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجـر[3]

1- ابن عبد الهادي، المصدر السابق، ص362، 371.

2- ابن كثير، المصدر السابق، ص136.

3- نفسه، ص137.

وقال عنه ابن الوردي:

(كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، ولكن الإحاطة لله تعالى، غير أنه يغترف من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي).

وقال عنه البزار (أما معرفته بصحيح المنقول وسقيه فإنه في ذلك من الجبال التي لا ترتقي إلى ذروتها ولا ينال سنامها قل أن ذكر له قول إلا وقد أحاط علمه بمبتكره وذاكره وناقله أو أثره أو راو إلا وقد عرف حاله من جرح وتعديل بإجمال وتفصيل)[1].

وقال عنه ابن عبد الهادي (كان بحرا لا تكدره الدلاء وحبرا يقتدي به الأحبار الألباء طنت بذكره الأمصار وضنت بمثله الأعصار) ، وقال عنه الحافظ المزي (ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه) ، وقال عنه الحافظ الذهبي: (شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد شيخ الإسلام مفتي الفرق قدوة الأئمة أعجوبة الزمان بحر العلوم حبر القرآن، تقي الدين سيد العباد أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية) ، وقال عنه ابن سيد الناس اليعمري المصري "إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكرا بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه.."[2].

وقال عنه ابن دقيق العيد: "لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد، وقلت له ما كنت أظن أن يخلق مثلك"[3].

وقال عنه شيخ النحاة أبو حيان حين اجتمع به: ما رأت عيناي مثله ومدحه بأبيات في وقتها فقال:

لما أتينا تقي الدين لاح لـــنا داع إلى الله فردا ماله وزر

1- الحافظ عمر ابن علي البزار، المصدر السابق، ص 32.

2- ابن عبد الهادي، المرجع السابق، ص7-10.

3- محمد مهدي الإستنبولي، المرجع السابق، ص12.

على محياه سيما الألى صحبوا خير البرية نور دونه القمر[1]

وقال عنه الشيخ الإمام بهاء الدين القاسم بن عساكر:

تقي الدين أضحى بحر علم يجيب السائلـــــين بلا قنوط

أحاط بكل علم فيه نفـــع فقل ما شئت في البحر المحيط[2]

وقد قيلت في الشيخ عدة مراثي فقد كان لموته وقع كبير على النفوس من علماء وعامة فعبروا عن حزنهم لمصابه بأبيات شعرية وقصائد مطولة.

وقال عنه العلامة مرعي الشيخ الكرمي الحنبلي في كتابه (الكواكب الدراري)الذي ألفه في مناقب ابن تيمة:

قد أكثر أئمة الإسلام من الثناء على هذا الإمام ،كالحافظ مزي وابن دقيق العيد ، وأبي حيان النحوي ، والحافظ ابن سيد الناس ، والحافظ الزملكاني ، والحافظ الذهبي ، وغيرهم من الأمة.[3]

وقال الشيخ ابراهيم الرخي :

ان تقي الدين يؤخذ عنه ويقلد في العلوم ، فإن طال عمره ملأ الأرض علما وهو على الحق ، ولابد من أن يعاديه الناس لأنه وارث علم النبوة ، وقال القاضي ابن الحرير : ان لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو ،وقال فيه شيخ النحاة ابو حيان لما اجتمع إجتمع به ما رأت عيناي مثله.[4]

1- أبي البركات خير الدين الألوسي ، المصدر السابق، ص 12.

2- ابن عبد الهادي، المصدر السابق، ص396.

3- مرعي الكرمي الحنبلي، **الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية**، تح: عبد الرحمن خلف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان ،1986، ص8.

4- محمد مهدي الإستنبولي، المرجع السابق، ص ص 12-13.

وممن رثاه زين الدين عمر بن الوردي، والشيخ أمين الدين عبد الوهاب بن سلار الشافعي، والإمام تقي الدين الدقوقيوالشيخ مجير الدين الجوخي الدمشقي الذي قال يرثيه:[1]

ولقد علا الإسلام جل مصابه لكنها لا تدفع الأقدار

لو كان في الدنيا يدوم مخلدا بشر لخلد أحمد المختار

ولكل حي خلع ثوب حياته علما بأن ثوب الحياة معار.[2]

2/_ دوره العلمي والحضاري:

2-1/_ اسهامه في المعرفة:

أ/_الفتاوى التي خالف فيها الذاهب الأربعة:

فتى ابن تيمية في بعض الأحكام بما أدى اليه إجتهاده وفتى في بعظها بخلاف أئمه المذاهب الأربعة منها ووافقهم في بعضها [3]،إنفرد الإمام بآراء قيمة وفتاوي فقهية جريئة ومحمودة للتيسير على المؤمنين في أمور دينهم وشؤون دنياهم، فهو يرد الأحكام الشرعية الى أصولها الأصلية بعد ادراك عللها فلا حرج عليه فيما أصدر من فتاوي ،وهو لم يخرج في شيئ عن تعاليم كتاب الله تعالى وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم ولقد كانت هاته الفتاوي هي سبب فيما أصابه من تهجم أهل عصره عليه من رجال دوله وعلماء وعامة عليه حتى لقد تعرض للإيذاء بالسجن أكثر من مرة للرجوع عن أقواله ومعتقداته[4]

وقد وضع الإمام مؤلفات تتضمن آراءه ومنظراته وأجوبته على الأسئلة التي كانت توجه اليه من كل صوب من طلب العلم والحقيقة، ومن كتبه تلك: الفرق المبين بين الطلاق واليقين ، ومسألة الحلف

1- ابن عبد الهادي، المصدر السابق، ص397.

2- نفسه، ص418- 419.

3- محمد ابن أحمد الدمشقي الصالحي، **العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**، تح:طلعت بن فؤاد الحلواني، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 2007، ص253.

4- عبد السلام هاشم حافظ، المرجع السابق، ص74.

بالطلاق ،ومسألة العلو ،رسالة العرش ،وسواها .....،ونورد هنا جملة من هذه المسائل الجلية وهي تعتبر من أهم المسائل التي تكلم فيها وتنحصر في تسعة عشر مسألة:

1-جواز قصر الصلاة في كل سفر ،طويلا أو قصيرا ،كرأي بعض الصحابة .

2-تارك الصلاة عمدا لايشرع له قضاؤها ،بل عليه التوبة والإكثار من النوافل رجاء غفران الله له.

3-لايشترط الطهارة في سجود التلاوة.[1]

4-يباح للمرأة التي حاضت قبل طواف الإفاضة اذا كان انتظارها للطهارة مما يضر بها للسفر فإنها تطوف ولا كفارة عليها.

5-جواز المتمتع في الحج يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة كما في حق القرءان والمفرد.

6-جواز التيمم مع وجود الماء لمن خاف فوات الجمعة والعيد أو أوقات صلاة أخرى من الصلوات المفروضة

7-من أكل في رمضان معتقدا أنه بليل فتبين أنه نهار فلا قضاء عليه

8-المرأة البكر لاتستبرأ وإن كانت كبيرة.

9-استبراء المختلعة بحيظة واحدة ،والموطوءة بشبهة،والمطلقة آخر ثلاث تطليقات.

10-للمرأة أن تتيمم وتصلي إذا لم يمكنها الإغتسال في البيت أوشق عليها الذهاب الى الحمام وتكراره.

11-لاحد لأقل الحيض ولا لأكثره،ولا لأقل الطهر بين الحيضتين،ولابسنالإياس من الحيض،لأن كل هذا يرجع الى ماتعرفه كل مرأة عن نفسها.

12-اباحة وطئ الوثنيات باليمين،كمثل اماء أهل الكتاب.

13-الشيء المائع لاينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير قليلا كان أو كثيرا.

14-جواز المسح على الخفين دون إشتراط أن يكونا ساترين لكل القدمين .

15-جواز توريث المسلم من الكافر الذمي.

1- عبد السلام هاشم حافظ، المرجع السابق، ص75.

16-لايثبت بالرضاع تحريم المصاهرة،فلا يحرم على الرجل نكاح أم زوجته وابنتها من الرضاع،كمالايحرم نكاح أبي زوجها وأبي أمه من الرضاع لأن النص في الحديث الشريف أنه يحرم بالرضاع مايحرم بالنسب وليس بالمصاهرة.

17-الطلاق الثلاث بلفظ واحد لايقع الا واحدة .

18-عدم وقوع الطلاق بالحلف إذا حنث.

19-جواز بيع مايتخذ من الفضة لتحلي وغيره كالقرط والخاتمونحوهماوجعل الزيادة في الثمن مقابل الصنعة.

هذه المسائل كما قلنا من أهم آراء وفتاوي الإمام ابن تيمية التي أذاعها وأخذ الناس بها ووقف هو دونها ،وله من علمه وتفقهه وسعة معرفته مصدر لأقوى الحجج،ولهذا لم يغال العلامة الذهبي حين قال عنه: (وفاق الناس في معرفة الفقه و إختلاف المذاهب، و فتاوي الصحابة والتابعين بحيث إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل ربما يقوم دليله عنده.[1]

ب/_تجديده للعلوم الشرعية:

ومن مآثر ابن تيمية التجديدية المستقلة أنه قام ببعث الفكر الإسلامي ولعل هذه المأثرة من أجل أعماله الفكرية التي تميز بها في حياته ومما لا يخفى أن الإسلام يمتاز بالنسبة الى النظم الفكرية الأخرى بأنه يقوم على أساس الوحي والنبوة المحمدية وأن عقائده وحقائقه لا تبنتنى على القياس والتجارب بل تبنى علت تعاليم الله تعالى وتبليغ رسوله والذي قاله وشرحه حول ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله وعن بدء العالم ومنتهاه ومبدئه ومصيره وعن المعاد والأخرة وعن الأمور مما وراء الطبيعة التي لها علاقة بالدين.[2]

وفي أواخر القرن 7ه وأوائل القرن 8ه لم يلبث أن إنتدب نفسه لتصحيح المفاهيم ورد الحقائق إلى أصولها وكشف الزيوف وعمد إلى حل تعقيدات التعصب ولأوهام التي أدخلت إلى الفكر الإسلامي مفاهيم منحرفة وقد إستطاع بقوة عارضته وبراعة حواره وعمق جدله أن يفحم خصومه ، وبذلك فتح

1- عبد السلام هاشم حافظ، المرجع السابق،ص 76 77.

2- علي الحسني الندوي، **رجال الفكر والدعوة في الإسلام**، تق:مصطفى الخن، ط3، ج2،دار ابن الكثير، دمشق-بيروت، 2007، ص694.

آفاق الإجتهاد وقضى على التعصب المذهبي ، وقد آمن بما دعا اليه واحتمل في سبيله كل عدوان ،وفي خلال أربعين عاما هز ابن تيمية ميادين الفكر ومجالات العلم فأنكر على الفلاسفة اغرابهم وبعدهم عن مفاهيم الإسلام ، وأنكر على الفقهاء إغلاق باب الإجتهاد والوقوف عند قيود المذاهب الأربعة فلا يتخطونها وأنكر رأي الصوفية وانحرافهم نحو الحلولية أو تقديس الموتى وناهض بدع العقائد والأحكام والعبادات وحارب الخرافات التي تقول بقدر طائفة ما على دخول النار وفتح الباب على مصراعيه وقال أن نصوص الشريعة الإسلامية وافية قادرة على التطور.[1]

2-2/_رده على الشبهات:

أ/_ رده على المنطق :

عرض ابن تيمية لأوجه النقد في كتابه ويزيف زعم غلاته ، أنه فرض كفاية ثم يذكر ذم علماء المسلمين له ،وعدم كفاية المنطق في الوصول إلى الحق وأنه لا يفيد أرباب الإيمان الواجب بل طالما كان المنطق زندقيا وقد يجمع بين الإيمان والنفاق ،ثم تحدث عن القياس وأنه لا يفيد أرباب الإيمان الواجب بل طالما كان النطق زندقيا وقد يجمع بين الإيمان والنفاق ، ثم تحدث عن القياس وأنه ينعقد بالفطرة دون الحاجة الى تعلم المنطق ، ثم يعرج على نقد المتكلمين للمنطق متحدثا عن أنواع الأقيسة ومفاهيمها عند المناطقة ،وعن المشهورات ،وعن صلة القياس بالبديهة والفطرة ،ثم ينقد مناطقة الفلاسفة والمتكلمين واليهود والنصارى في موقفهم من القياس ثم يتحدث عن قياس التمثيل وعلم مابعد الطبيعة ، وصلة المنطق بالعلوم وعدم الحاجة اليه في الأمور العملية ، وإستطرد كعادته مبيننا تلازم الأصول الثلاثة (التوحيد-الإيمان بالرسل- الإيمان باليوم الآخر) ذاكرا أن السعادة لايحصلها منطق ولا حكمة ولا فلسفة المناطقة والحكماء والفلاسفة ،وبرهن على أن غير العلم الإلاهي ليس فيه يقين وليس سبيلا للنجاة ثم بين أن كلام الناطقة انما ينحصر في الحدود التي تفيد التصورات وفي الأقيسة التي تفيد التصديقات ، وأن غالب كلامهم في هذا فيه تكلف في العلم وفي القول، وجل لغوه لافائدة فيه.[2]

1- أنور الجندي، **نوابغ الإسلام**، دار الإعتصام، ص201-204.

2- أحمد ابن تيمية، **نقض المنطق**، تح:سليمان بن عبد الرحمان الصفيح، صح:محمد حامد الفقي، ط1، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1951، ص16.

وجد كلهذا من منطق أرسطو الذي تعلق به علماء المسلمين ، وأدخله أبو حامد الغزالي ،فثار على ذلك المنطق وإعتبره من علوم الصائبة وأثار حوله عجاجة ، وأخذ يبين أنه دخيل على الفكر الإسلامي ، وأن إدراك الحقائق الإسلامية لم يكن في حاجة إليه وأنه ميزان ليس بصادق انما هو أوهام وقيود وشجعه على ذلك الهجوم أنه وجد أن الفقهاء قبل أبي حامد الغزالي كانو ينظرون اليه نظرة البعض ويتوجسون منه خيفة على العلوم الإسلامية وأن من كان قبله أخذوه على إستخفاء ، ولم يجهروا به كما جهر به حجة الإسلام[1].

وبين رأيه في الحد عند المناطقة فيرميه بأنه حشو لكلام كثير ، وأنه يعقد السهل ، ويحيل الوضوح غموضا، وينقد ابن تيمية القياس مبينا أن صورة القياس فطرية تنعقد دون حاجة الى تعلم ،وأن باطل القياس المنطقي أكثر من حقه ، والحق الذي فيه فطرى لا نحتاج الى هذا القياس فيه.[2]

وهاجم ابن تيمية المنطق من الناحية العلمية والنظرية ، فيثبت أنه ليست له فائدة فيقر أننا لانجد أحدا من أهل الأرض حقق علما من العلوم وصار اماما فيه مستعينا بصناعة المنطق لا من العلوم الدينية ولا الدنيوية ولا غيرها ، فالأطباء والمهندسون والكتاب وغيرهم يحققون مايحققون من علومهم وصناعاتهم بغير صناعة المنطق ، وليس في أئمة هذه الفنون من كان يلتفت الى المنطق.[3]

ب/_رده على الشبه:

كان ابن تيمية قوي العارضة غاية في الجرأة دعى للعودة بالإسلام الى بساطته الأولى بعد أن هاله ذلك التمزق في الجبهة الإسلامية وكانت زوايا الصوفية وخوانقهم قد إنتشرت في كل مكان وأخذت آرائهم المشوهة تبلبل الأفكار وقد أخرجت الإسلام من بساطته الى تعقيدات الحلول ووحدة الوجود كانت فرق الرفاعية في دمشق وحلب والجيلانية في العراق والشاذلية في مصر كلها تسيطر على الرأي العام وعلى الأمراء وتتصارع فيما بينها ثم تتصارع مع الفقهاء ،والفقهاء يتصارعون فيما بينهم والصراع محتدم بين الحنابلة والأشاعرة وبين الفقهاء والمتكلمين وبين المتكلمين والمتصوفة ، وقف ابن تيمية بين هذه الفرق جميعا ليدعو الى السنة الصحيحة ،لم يدخل الميدان الا وقد أحاط بالثقافات المتعددة في مختلف الميادين وألم بعلوم الحديث وحفظ المتون وعرف الرجال وجرحهم وتعديلهم وأعانته على ذلك

1- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص206.

2- أحمد ابن تيمية، المصدر السابق ، ص17.

3- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص210.

حافظة وذاكرة قوية وذكاء مفرط ، صدق في وصفه ابن دقيق العيد حين قال : رأيت رجلا جمع العلوم كلها بين عينيه ، يأخذ منها مايريد ويدع مايريد).[1]

ج/ـرده على التصوف:

شغل الفكر الإسلامي بأفكار أثارها المتصوفة تتعلق بصلة الله سبحانه وتعالى بخلقه ، وأن المعروف بين علماء المسلمين المقرر في مصادر الدين أنها صلة الخالق بالمخلوق ، لكن بعض المتصوفة أثاروا أمورا تجعل الصفة ليست كذلك فقط فقد قالو بجواز حلول الله في بعض الأدميين إذا كان مستعدا لذلك بصفاء نفسه وصقل روحه ، وأظهر من قال ذلك الحلاج ، ثم جاء ابن عربي فحكم بوحدة الوجود ، وأن الموجود واحد ،تعدد من حيث المحبة والشوق ، فإنه بهذه المحبة يتصل بالله تعالى ويعلو اليه ، وأنه عندما يصل إلى درجة الإتحاد بالذات العلية يكون في غيبوبة يسمونها المحو ، أي فناء ذاته الفانية في ذات الله الباقية ،نقض ابن تيمية هذه المذاهب التي تربط الخالق بالمخلوق لأنه :

أولا: رآها منافية لمعنى توحيد الله سبحانه وتعالى الذي شرحه وبينه .

ثانيا: لأنه رأى بعض قائليها يدعون لأنفسم حلا يعلون فيها عل التكليف ، وابن تيمية يرى أن من ينزع ذلك المنزع معطل للأحكام الشرع خالع الرقبة .

ثالثا: لأنه رأى الناس يزعمون في أصحابها قدرة خارقة للعادة ، فيتقربون إلى الله بهم ، وهم من يسمون عندهم أولياء.[2]

لقد إضطر ابن تيمية لمنازلتهم كما نازل غيرهم ممن إعتبرهم على خطأ وظلال واشتدت المنازلة بينهم وبينه عندما ثار على شعبذتهم في الشام وأخذ يفضحها ، ويكشف اتصال بعظهم بالتتار ولقد حارب فكرة الإتحاد والفناء الذي نادى بها ابن عطاءالله السكندري الذي عاصره ، ولقد ثارت عليه الصوفية بمصر وهموبالإعتداء عليه ولكن حاطه أنصاره وكفو الأذى عنه ، وكادت تكون فتنة لم يمنعها الى هو.[3]

1- أنور الجندي، المرجع السابق، ص205.

2- محمود مهدي الإستنبولي، المرجع السابق، ص57.

3- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص175.

3/_دوره السياسي والعسكري:

3-1/_السياسي:

أ/_ جهاده بالكلمة:

عرف الناس في ابن تيمية علمه الكثير وبراعته في كل علم يخوض فيه في المساجد والمدارس، وقد كان رحمه الله لا تأخذه في الحق لومة لائم فإذا ما رأى أخطاء مستشرية في مجتمعه بادر بمحاربتها وبين خطأها فيعقد لذلك كثيرا من المجالس الكبار حيث يحضرها كثير من العامة وطلاب العلم والعلماء، فكان يتصدى في أيام الجمع لشرح القرآن الكريم في الجامع الأموي بدمشق حيث كان يعقد فيه أكبر حلقات الدروس[1] فقد كان يرى العامة من المسلمين بعيدين عن النبع الصافي، قد تفشت فيهم أمور بدعية منكرة سببها هذا البعد فيتحمل على عاتقه مع بقية العلماء توعية الناس بكتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام،ولم يقتصر أمره على إلقاء الدروس فقد كان على أتم استعداد للمناقشة في أمور الشريعة الإسلامية ولو أدى به الأمر إلى الاصطدام بمفاهيم الناس وآراء العلماء وإن ناله الأذى في سبيل ذلك. فعقد مجالس للمناظرة في العقيدة الواسطية حيث حضر فيها كثير من القضاة والعلماء والمفتين والمشائخ والأمراء في دمشق دافع فيها ابن تيمية عن معتقده الذي هو اعتقاد أهل السنة والجماعة وتصدى له الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني فتناظرا وكل منهما بحر في علمه وسعة اطلاعه إلا أن ابن تيمية أفحم مناظره بالحجة والبرهان فانتهى الأمر بقبول كلام ابن تيمية والاعتراف له بالعلم والتفوق وصحة المعتقد[2].

كما كان رحمه الله يعقد المجالس لصرف الناس عن الشرك بالله مبينا لهم أحوال كثير من المتفلسفة والصوفية الذين يدعون أنهم أولياء لله وأن مرتبتهم أفضل من مرتبة الأنبياء مدعمين ذلك بأعمال خارقة للعادات ليسلبوا بها عقول العامة، فأخذ ابن تيمية في التصدي لأمثال هؤلاء مبينا للناس أن ما يقوم به هؤلاء ليس من الكرامة إنما هو أحوال شيطانية يعينهم عليها الشياطين لإبعاد الناس عن عبادة الله وحده[3] فتاب بعض شيوخهم عن ذلك حين تبين لهم الحق واستغفروا لذنبهم كما عقد مجالس لرد ملابسات الجهمية وادعاءاتهم الكاذبة التي يرمون من ورائها إلى الطعن في الإسلام وإبعاد

1- ابن كثير، المصدر السابق، ص303.

2- نفسه، ص36، 37.

3- أحمد ابن تيمية، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، تح: عبد لبرحمن بن عبد الكريم يحيى،مكتبة دار المنهاج ، الرياض،2007،ص82

الناس عن عبادة الله وحده[1] لتمزيق وحدة المسلمين وصرفهم عن الإسلام فعقد مجالس تبين حقيقة الإيمان بالله وأنه ما وقر في القلب وصدقه العمل فأبطل بدع أمثال هؤلاء.

ب/_ دعم المماليك:

كان ابن تيمية يعيش وسط تحديات ورث بعظها مما كان موجودا قبله كسقوط الخلافة وإنهيار دولة الأيوبيين وصعود دولة المماليك وما مر بها من أزمات وإنحسار وحصار المذهب السني والحنبلي أيضا حيث كانت صحوات الفرق والفلاسفة والنزعات الباطنية مع صحوة شيعية سياسية تحالفت مع حكم التتر بعد تحول بعض حكام المغول الى الإسلام الشيعي خاصة وانتشار الإتجاهات والدعوات الباطنية والتأويلية التي حاصرت واخترقت مذهب أهل السنة والجماعة وهدد حظورها وجهودها،وهنا تأتي أهمية الدولة المملوكية في سياق ابن تيمية ، إذ لم تكن ثمة قوة صاعدة للمسلمين السنة قبل ولادة ابن تيمية ،سوى قوة الأتراك السلاجقة والخوارزمية بعد صدامها مع التتار وغزوها لهم عام 616 هـ ،وفي نفس العام إستحوذت الفرنج عل دمياط وسعت لإسترداد بيت المقدس ثم توسع المغول حتى أسقطوا دولة الخلافة سنة 656هـ ولم تردهم سوى دولة المماليك الوليدة حينئذ من هنا كان رهان ابن تيمية على مايبدو هو الحفاظ على الدولة المملوكية الصاعدة التي حمت البيضة وردت الهجوم التتري عن بقية العالم الإسلامي بعد أن سقطت خلافة العباسيين الرمزية في بغداد كما قضت على بقايا الصلبيين وجيوبهم في الشام.[2]

3-2/_العسكري:

أ/_ جهاده ضد الصلبيين:

كان له في ميدان السيف والسنان مواقف وعبر أثمرت جيلا من الرجال،فكان شيخ الإسلام يقول للمسلمين من حوله وهو يخلع عنهم لباس الجبن والهلع:(لن يخاف الرجل غير الله الا لمرض في قلبه) ،

1- وذلك بادعائهم أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه وليست الأعمال من ضمن الإيمان فقالوا قد يكون الإنسان مؤمنا يملأ الإيمان قلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي أوليائه الخ..... (ابن تيمية، **الإيمان**، ط5، المكتب الاسلامي، بيروت ، 1996،ص160- 165).

2- هاني نسيرة، **متاهة الحاكمية أخطاء الجهاديين في فهم ابن تيمية**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2015، ص28.

وتكفي معركة عكة في التدليل على ذلك[1] ،وقام سنة 90هـ بالاشتراك مع الجيش المسلم لقتال الفرنجة في عكا حيث أظهر في هذه المعركة من ضروب الشجاعة ما يعجز عنه الأبطال فحمل لواء الجهاد ضد الكفرة فكانت هذه المعركة بداية للشيخ في التمرس في القتال استعدادا لخوضها من جديد ضد التتر في سنة 699هـ وقد أظهر الشيخ في هذه المعركة حنكة وسياسة في فتح المدينة وفي ذلك يقول البزار: (ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره)وكان له من العمر يوم ذاك28 سنة.[2]

ب/_ جهاده ضد التتار:

لقد جاء التتر إلى الشام سنة 699هـ وهزموا عساكر الناصر بن قلاوون وشتتوهم بعد أن أبلى الجميع بلاء حسنا فولى جند مصر والشام الأدبار واجتازوا دمشق فارين الى مصر وصار جند التتار على أبواب دمشق وأهلها في ذعر وفر من أعيان وعلماء حتى صار البلد شاغرا من الحكام وكبار رجال الدين ولكن عالما واحدا بقي مع العامة لم يفر ،جمع ابن تيمية أعيان البلد.[3]واتفقوا على المسير الى قازان لتلقيه وأخذ الأمان منه لأهل المدينة وذلك يوم الإثنين ثالث ربيع الأخر فإجتمعو به عند النبك وكلمه الشيخ تقي الدين كلاما قويا شديدا فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين[4].

وكسا الله الشيخ حلة من المهابة والإيمان والتقي ولقد قال أحد الذين شاهدوا اللقاء :(كنت حاضرا مع الشيخ فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل ويرفع صوته ويقرب منه والسلطان مع ذلك مقبل عليه مصغ لما يقول ،شاخص إليه لايعرض عنه،وان السلطان من شدة ماأوقع الله في قلبه من الهيبة والمحبة سأل من هذا الشيخ؟إني لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه فأخبره بحاله وما عليه من العلم والعمل) ،ثم قال الشيخ للترجمان قل للغازان :(أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاضي وإمام وشيخ ومؤذنون على مابلغنا،فغزوتنا وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت ،وقلت فما وفيت وجرت.)،ثم خرج من بين يديه معززا مكرما بحسن نيته الصالحة

1- مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، المرجع السابق، ص7.

2- الحافظ عمر ابن علي البزار، المصدر السابق، ص63-64.

3- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص33.

4- الحافظ ابن كثير، المصدر السابق، ص7.

من بذل نفسه في طلب حقن دماء المسلمين ،فبلغه الله تعالى ما أراده ، وكان يقول لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه .[1]

أنجبت هذه المقابلة خيرا وإن كان محدودا ،لقد أجل دخول دمشق الى حين، وأمن الناس وزال فزعهم فقد وعده قازان خيرا وأعلن الأمان،وطيف بمنشوره في البلد من أقصاه إلى أقصاه .[2]

موقعة تل شقحب:

عزم التتر على معاودة الكرة بالهجوم على الشام والوصول إلى مصر، فتخاذل كثير من الناس عن مدافعتهم ورغب أكثرهم بالفرار بنفسه وأهله فاضطربت أحوال البلاد وانتشر الغلاء وبذل الناس أموالا طائلة في سبيل الفرار من الشام مما دفع ابن تيمية للوقوف في وجه هذا التيار الجارف فكثف من دروس الجهاد ورغب في الدفاع عن الإسلام والمسلمين وبذل الأموال في الدفاع عن الإسلام وفي الاستعداد للجهاد وتجهيز جيش المسلمين بدلا من الهرب إلى خارج البلاد[3].

واصل ابن تيمية بذل قواه في النفير العام فخرج إلى جيش الشام المرابط في المرج فقوى من عزيمتهم في مجاهدة التتر وحثهم على الصبر وبشرهم بالنصر والظفر على الأعداء حتما في هذه الكرة، مستشهدا بآيات قرآنية مثل: "وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ". ثم أكمل مسيرته إلى الجيوش الإسلامية في حماه حيث دار على الجند ورفع من حالتهم المعنوية وثبتهم وقوى من جأشهم واعدا إياهم بالنصر لأنهم على حق والتتر على باطلوكان المسلمون قد ملوا في انتظار التتر واضطربت أحوالهم لكثرة الثلوج والأمطار العظيمة وأخذ اليأس يتسرب إليهم فشكوا همهم إلى ابن تيمية فكان عند حسن ظنهم فثبتهم وبين لهم أن هذا الأمر خير لهم. "وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ"،كان لشخصية ابن تيمية الفذة وقدرته على استنفار الهمم ودفعها للجهاد أن انتدبه نائب الشام جمال الدين الأفرم وبقية أمراء الجيش الإسلامي لاستنفار أهل مصر للجهاد وحث السلطان على مساعدة أهل الشام فرحل من يومه وجد في المسير حتى وصل إلى السلطان واستحثه على تجهيز العساكر لنصرة مسلمي الشام وكلمه بلهجة شديدة حين رأى تقاعسهم وتخاذلهم عن المسير ولم يخش أميرا ولا سلطانا في قول الحق، فأنكر عليهم أخذهم أموال الشام والاستفادة منه ومن خيراته في وقت السلم وفي وقت الحرب يتخلون عنه ويخذلونه ثم أخذ يبين لهم أنهم ولو لم يكونوا

1- زكي الكردي، **المجموع المشتمل على الدرر (الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية)**، مطبعة كردستان العلمية، مصر1329هـ، ص162.

2- محمود مهدي الأستانبولي، المرجع السابق، ص34.

3- ابن كثير، المصدر السابق، ص14.

سلاطين الشام، وحكامه وطلب منهم أهل الشام النصر لوجب عليهم نصرتهم فكيف وهم حكامه وسلاطينه؟.

وما زال في أمثال هذا الكلام حتى شحذ الهمم واستثار حماسهم الديني فنادى السلطان بتجهيز العساكر والسير إلى الشام لطرد التتر منها. وفي حينها وصل الخبر إليهم بعودة غازان عن البلاد وهلاك معظم جنده[1]، فيعلل ابن تيمية انصراف التتر هذا عن الشام فيقول: (لما ثبت الله قلوب المسلمين صرف العدوجزاء منه وبيانا أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وإن لم يقع الفعل وإن تباعدت الديار) ، فحين صدق المسلمون في جهادهم وعزموا على رفع راية الإسلام صرف الله عنهم عدوهم.[2]

حين رجع غازان عن الشام بعد موت أكثر جنده رغب في أن يعيد ماء وجهه ورد اعتباره فأرسل رسالة إلى سلطان مصر يتهدده فيها ويتوعده إن لم يبادر بطلب الصلح مما أدى إلى رفض السلطان الناصر لصلح يتم بهذه الطريقة فأجابه على رسالته بأشد منها، وأخذ يستعد ليوم المعركة الفاصلة الذي أوشك أن تبدأ تباشيره فأعلن النفير العام في جميع أرجاء المملكة الإسلامية ، أخذ ابن تيمية يكثف جهوده ويزيد من نشاطه في مجالسه ودروسه في ثواب الجهاد وما أعده الله للمجاهدين من اجر وثواب عظيمين كذلك بين لهم ولمن سبق لهم الفرار عن البلاد أن رحمة الله واسعة لمن أراد الاستغفار والتوبة إذا صدقوا العزم والنية في هذه المرة لنصرة الإسلام ومجاهدة العدو فباب التوبة مفتوح لمن أراده[3] وقد فتح الله بابا من قبل المغرب عرضه أربعون سنة لا يغلقه حتى تطلع الشمس من قبله. فالتف الناس حوله ابن تيمية وأخذوا في الاستعداد وقد قويت نفوسهم ونياتهم لقتال التتر وتعاهد الأمراء والعامة على الثبات والمدافعة حتى الموت[4]، علم ابن تيمية مدى تأثير الراحة النفسية للجيش الإسلامي، فخرج لجيش حماة المرابط في المرج لتقوية نفوسهم وإعلامهم بما اتفق عليه أهل الشام من نجدتهم ومعاونتهم وبشرهم وبين لهم ابن تيمية أنهم منصورون هذه المرة لا محالة فكان يقول له الأمراء قل إن شاء الله، فيقول: "إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا"[5].

1- ابن كثير، المصدر السابق، ص15- 16.

2- ابن عبد الهادي، المصدر السابق، ص171.

3- نفسه، ص169.

4- ابن كثير، المصدر السابق، ص23.

5- محود مهدي الإستانبولي، المرجع السابق، ص40.

لم يجد عسكر الشام بدا من التصدي لمعسكر المغول حين أن انتظار وصول السلطان من مصر قد يؤدي إلى هزيمة جديدة من التتر لذلك بادروا بالتحرك لملاقاة التتر[1] وفي نفس الوقت انتدبوا الشيخ ابن تيمية للسير مرة أخرى ليحث السلطان الناصر على الإسراع إلى الشام وإعلامه بحالة البلاد فكان ابن تيمية عند حسن ظن عسكر الشام فأسرع بالمسير إلى مصر ولم يلتفت لمن اتهمه بالفرار من المعركة لكي لا يضيع الوقت[2] وأكمل مسيره إلى أن وصل إلى السلطان بعد أن كاد السلطان أن يرجع إلى مصر بجيشه فجيش مصر لم يكن يريد الاشتباك مرة أخرى مع جيش التتر المسلم بعد أن بث فيه دعاة الهزيمة عدم مشروعية محاربتهم فهم ليسوا بغاة على الإمام تجب محاربتهم فانبرى لهم ابن تيمية يبين لهم أنهم خوارج تجب محاربتهم وبين لهم أفعال التتر بأهالي الشام مما يوجب تكفيرهم. وما زال معهم يحثهم ويحدثهم طويلا إلى أن استثار هممهم وتكللت مهمته بالنجاح فسار السلطان ومعه الخليفة إلى جبهة الشام وطلب من الشيخ أن يلازمه في المعركة إلا أن الشيخ كعادته في اتباع السنة لم يرد إلا الوقوف تحت راية قومه فقال له (السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم)[3] ثم جد بالمسير إلى أن لحق بجند الشام ووصل أرض المعركة قبل السلطان ليعلمهم بحضوره.

سير المعركة:

كان التوقيت لهذه المعركة في رمضان 702هـ ،وفي هذه السنة كانت هذه الموقعة الحاسمة التي عرف فيها المسلمون أن الله سينصرهم على عدوهم كما تعودوا ذلك منه فدخلوا المعركة بقلوب واثقة بالنصر الإلهي الذي وعدهم به ابن تيمية فحين التقوا بعسكر التتر في مرج الصفر[4] قاتلوهم قتالا شديدا ألحقوا بقطلو شاه هزيمة منكرة لولا أن تداركه بولاي بنجدة استطاع بها أن يسترد أنفاسه ويجمع فلوله ويضرب ميمنة جيش المسلمين فانهزمت وقتل كثير من الأمراء وولى الجند منهزمين[5] فضج الناس بالدعاء والبكاء والتضرع إلى العزيز القوي لنصر الإسلام والمسلمين، وكان لابن تيمية دور كبير في تثبيت العساكر وتقويتهم فقد دار على الأجناد وأفتاهم بالفطر أثناء القتال لكي يتقووا على قتال

1- يوسف ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، ج8، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، مصر، 1874، ص158.

2- ابن كثير، المصدر السابق، ص24.

3- عبد السلام هاشم حافظ، المرجع السابق، ص27.

4- أحمد ابن عبد الهادي، المصدر السابق، ص147.

5- يوسف ابن تغري بردي، المصدر السابق، ص161.

التتر، وأفطر هو أيضا معهم مستدلا على ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عام الفتح "إنكم ملاقو العدو غداوالفطر أقوى لكم"[1].

ثم وقف ابن تيمية موقف الموت وشارك في القتال وأظهر من ضروب الشجاعة ما يعجز عنه الأبطال فارتدى عدة القتال والتجأ إلى الله بالدعاء لنصرة الإسلام والمسلمين، ثم خاض بنفسه المعركة والتحم مع جيش المغول[2] مما كان له أثر كبير في نفسية الجنود فثبتوا في أرض المعركة إلى أن استطاعوا حصر التتر في سفح جبل هلك فيه كثير منهم عطشا ، وصلت أنباء الانتصار إلى دمشق والقاهرة ففرح الناس بذلك واستبشروا وشكروا الله على هذه النعمة العظيمة وتساقطت دموعهم فرحا بذلكفعملوا الزينات وخرجوا لاستقبال الجيش الإسلامي وابن تيمية وأصحابه وكان احتفالهم به كبيرا فالتفوا حوله فرحين بما يسر الله على يديه من نصر للإسلام والمسلمين.[3]

ج/_غزو الجراد والروافض:

واصل ابن تيمية جهاده ضد الكفرة فبانهزام التتر وكسر شوكتهم لم تزل هناك شوكة تؤرق الجسم الإسلامي في قمم جبال لبنان وسوريا حيث كان الروافض والجرد[4] والنصيرية قابعين بمأمن من المسلمين بعد أن أذاقوهم صنوف العذاب والتنكيل أثناء الغزو التتري لبلاد المسلمين فكانوا يعترضون سبيل الجيش الإسلامي بدلا من مساعدته كما يغيرون على القوافل الإسلامية فيأسرونهم ويبيعونهم للكفار فأفتى ابن تيمية بوجوب محاربة هؤلاء وأنها جهاد في سبيل الله وراسل سلطان المسلمين بوجوب محاربتهم وكف أذاهم عن المسلمين، وحث الناس على جهادهم إلى أن تجمع له جيش كبير خرج على رأسه في سنة 705هـ إلى بلادهم ثم تبعه نائب دمشق بجيش آخر، حاصروا به بلادهم وقاتلوهم قتالا شديدا أظهر فيه الشيخ شجاعة يضرب بها المثل، وأفتى بجواز قطع شجرهم كما فعل الرسول صلى الله عليهوسلم مع يهود بني النضير وكانت خطة من ابن تيمية ليقضي بها على مقاومتهم بإتلاف ثمرهم فلا يستطيعون الصمود لفترة طويلة[5].

1- ابن كثير، المصدر السابق، ص ص 24 26.

2- ابن عبد الهادي، المصدر السابق، ص177-178.

3- ابن كثير، المصدر السابق، ص125.

4- جماعة من البغاة كانوا يروعون المسلمين، وهم من سكان الجبال في بلاد الشام (ابن عبد الهادي، المرجع السابق، ص)179.

5- ابن عبد الهادي، المصدر السابق، ص190-191.

وقتل كثير من الروافض وانتصر المسلمون ورجعوا سالمين غانمين[1] وكان فتحا عظيما لشدة حصانة تلك البلاد وصعوبة مسالكها لدرجة أن هولاكو عجز عن فتح بلادهم فقبض الله للمسلمين ببركة دعاء واشتراك ابن تيمية النصر عليهم.

خرج أهل دمشق جماعات لاستقبال الشيخ ابن تيمية وتهنئته بالنصر وقاموا بزيارته في منزله للسؤال عن كيفية حصاره للجبل وعن سير القتال إلى أن حقق الله لهم النصر عليهموقد كان لهذه الغزوة أثر كبير في بلاد الشام حيث انتشر الأمن بعدها في البلاد وسكتت الأمور واطمأن الناس بعد أن كانوا يخشون المسير قرب بلادهم لكثرة ترويعهم للمارين بهم وسلبهم وقتلهم وفي ذلك يقول ابن الوردي: وأمنت الطرق بعدهم وكانوا يتخطفون المسلمين ويبيعونهم من الكفار وكان الذي أفتى بذلك ابن تيمية وتوجه مع العساكر.[2]

1- ابن كثير، المصدر السابق، ص35.

2- نفسه، ص149.

الخاتمــة

وفي الأخير من خلال دراستي لهذا الموضوع خرجت بمجموعة من النتائج منها:

- الدور الذي لعبه الإسلام في تغير عقليات وتوجهات هاته العناصر.

- لولا الإسلام لما على ذكر هاته العناصر بما فيها العربية.

- أن عرق أو نسب الشخص ليس له دخل في إبداعه وتميزه حيث قضى الإسلام على هذا الطرح وأصبح الإبداع مبني على قوة إيمان الشخص وعمله حيث قال تعالى في كتابه الكريم :"إن تنصرو الله ينصركم ".

- لم يدخل الكرد إلى الإسلام عن طريق الفتوحات المباشرة وإنما بمرور الوقت وإحتكاكهم بالمسلمين حيث أسلمو وحسن إسلامهم وأصبح لهم دور في الخارطة الإسلامية سواء في الفتوحات والعلم أو عن طريق القلاقل والفتن.

- التنشئة الإسلامية الصالحة ودورها في صقل شخصية صلاح الدين الأيوبي.

- دور صلاح الدين الأيوبي في الحفاظ على الخلافة و توحيد لم شمل المسلمين وإسترداده لبيت المقدس .

- دور ابن تيمية في إحياء ضمائر الأمة من خلال حثهم على الجهاد والنصح وإنعاش همم السلاطين ومحاسبتهم وردعهم.

- عدم إكتفائه بالعكوف تحت أسقف المساجد وإنما كان فعالا بالقول والعمل وذلك من خلال تصدره للصفوف الأولى في ساحات المعارك.

بعد كل هذه الإستنتاجات أردت أن أبدي رأي الخاص في هذا الموظوع :

ما أحوجنا في هذا الزمان إلى أمثال هاتين الشخصيتين العظيمتين رغم كل ماقيل عنهما حيث تخلى أئمة هذا الزمان عن قول الحق وإكتفائهم بموالات حكامهم خوفا من العقاب وسد أخطاء أمرائهم

من خلال إختلاق أعذار لهم كلا يجوز الخروج عن الحاكم .....الخ ،أفلا كان لهم التدبر في شخصية هذا الإمام العظيم الذي أفنى عمره في التصدي للبدع والخرافات والظلم غير مبالي بجور وبطش الخلفاء ولا المحتلين الغزات بل كان كالليث في مجالسهم يهابه كل من يجتمع به وذلك لقوة إيمانه وصدقه حيث قال يوما حين سئل عن سبب عدم خوفه من قول الحق والوقوف في وجه الخلفاء فقال : (لايخافهم إلا من كان في قلبه مرض).

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

ابن عبد الهادي الدمشقي، **العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية**، تح : أبي مصعب طلعت بن فؤاد الجلواني، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 2002.

ابن الأثير، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**، تح: عبد القادر أحمد طليمات،ط1، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963.

ابن كثير، **البداية والنهاية**، الجزء 14، الطبعة 7، مكتبة المعارف، بيروت، 1988 .

أبو الحسن علي الحسني الندوي، **رجال الفكر والدعوى في الاسلام**، تق :د.مصطفى الخن، ج 2، ط3، دار ابن كثير، دمشق-بيروت 2007 .

أبي البركات خير الدين الألوسي، **جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين ابن تيمية–ابن الهيتمي**، تح :الداني ابن منير آل زهوي، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

أحمد ابن تيمية، **الإيمان**، ط5، المكتب الاسلامي، بيروت ، 1996.

أحمد ابن تيمية، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، تح: عبد لبرحمن بن عبد الكريم يحي،مكتبة دار المنهاج ، الرياض،2007.

أحمد ابن تيمية، **نقض المنطق**، تح:سليمان بن عبد الرحمان الصفيح، صح:محمد حامد الفقي، ط1، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1951.

حافظ ابن كثير، **البداية والنهاية**، الجزء 14، الطبعة 7، مكتبة المعارف، بيروت، 1988 .

الحافظ عمر ابن علي البزار، **الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**، تح:د.صلاح الدين المنجد، ط1، دارالكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1976.

الحسن بن علي المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ، ج2، ط1، المكتبة العصرية، بيروت 2005.

شهاب الدين عبد الرحمن ابي شامة، **الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية**،ج 2،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت ،2002.

شهاب الدين عبد الرحمن ابي شامة، **الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية**،ج3،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت ،2002.

العماد الاصفهاني، تح:ناظم رشيد، **ديوان الاصفهاني**، مطابع جامعة الموصل.

محمد ابن أحمد الدمشقي الصالحي، **العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**، تح:طلعت بن فؤاد الحلواني، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 2007.

مرعي الكرمي الحنبلي، **الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية**، تح: عبد الرحمن خلف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان،1986.

ابو المحاسن بهاء الدين ابن شداد، **سيرة صلاح الدين الايوبي المسمى المحاسن السلطانية والنوادر اليوسفية**،هنداوي للتعليم والثقافة، مصر

يوسف ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، جـ8، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، مصر، 1874.

قائمة المراجع:

احمد تاج الدين، **الأكراد تاريخ شعب وقضية وطن**، ط1، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2001.

أنور الجندي، **نوابغ الإسلام**، دار الإعتصام، (د م ن)،(د ت ن).

باسيلينيكيتين، تق:لويسماسينيون، **الكرد دراسة سوسيولوجية وتأريخية**، تر: نوري طالباني، دار فاراس للطباعة والنشر،2006.

زكي الكردي، **المجموع المشتمل على الدرر (الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية)**، مطبعة كردستان العلمية، مصر1329هـ.

عارف باشا العارف، **تاريخ القدس**، دار المعارف،مصر، (د ت ن).

عبد السلام حافظ، **الامام ابن تيمية**، ط 1، مكتبة مصطفى البابي والحلبي واولاده، مصر، 1969.

عبد الله صالح علوان، **صلاح الدين الايوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين**، دار الاسلام، مصر، (د ت ن).

عصام أنور محمد أمين زنكنة، **الكورد أمة جبال**، مر: رفيق شواني، أربيل، 2013.

على محمد الصلابى، **صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس**،ط1، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الأولى 2008.

علي الحسني الندوي، **رجال الفكر والدعوة في الإسلام**، تق:مصطفى الخن، ط3، ج2،دار ابن الكثير، دمشق-بيروت، 2007.

محمد أبو زهرة، **ابن تيمية حياته وعصره-أراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991 .

محمد الصويركي، **تاريخ الأكراد في بلاد الشام ومصر**، ط1، مطبعة السفير، عمان، 2010.

محمد أمين زكي بك، **خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن**، تق: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، 1939.

محمد رشيد الفيل، **الأكراد في نظر العلم**، مطبعة الأداب، نجف 1965.

محمد سهيل طقوش، **تاريخ الأكراد (637-2015م)**، ط1، دار النفائس، 2015.

محمد سهيل طقوش، **تاريخ الايوبيين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة**، ط2، دار النفائس، لبنان، 2008.

محمد مهدي الإستنبولي، **ابن تيمية بطل الإصلاح الديني**، ط2، دارالمعرفة، دمشق، 1977.

هاني نسيرة، **متاهة الحاكمية أخطاء الجهاديين في فهم ابن تيمية**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2015.

.